# مادة (م وت) وصورها الاشتقاقية
# دراسة في ضوء السِّياق القرآني

**الأستاذ المساعد الدكتور**
**ليث داود سلمان**

**الملخص**:
يعاين البحث مادة (م و ت) وصورها الاشتقاقية في الاستعمال القرآني، متخذاً من السياق القرآني، أداة لفهم التراكيب التي تأتلف بها صور هذه المادة، وقد خرج البحث، أن الْقُرآن صنع من مفهوم الموت معارف تشحن ذهن المتلقي، وتنميه بالأفكار المانعة من تسرب الخطل والقذع إليه من تصورات إنسانية وتجارب مرحلية مؤقتة، لا تؤطر عقولهم إلا بميراث التقليد والقبلية، كما أنه _أي الْقُرآن- يفتح أمامه السبيل لإدراك عوالم الوجود الأخرى الَّتِي لا يطؤها إلا بالموت ووصل المنية. وهَذَا كافٍ –وحده- لاستيعاب مقام الإلوهية وعظيم تدبيره.

# مادة (م و ت) في ضوء السياق القرآني

## ((دراســة دلاليـــة))

الْأَلْفَاظُ، وَإِنَّ كَانَ رداؤها زاهيًا، وَدِثَارُهَا وَاشيًا، وَسَنَاهَا ماذياً، تَبْقَى أَبْوَابُ الْعُلُومِ أَمَامَهَا مُوْصَدَةٌ، وَمَنْظُومَةُ الْمَعَارِف حِيَالهَا مُرْتَجَة، لأَنَّهَا منْ دُونَ ظِلالها الْفَاشِيِّ، وَحِيَاضِهَا الْحاكي، لَا تَعْدُو أَنَّ تَكُونَ أصوانا مُنْتَظِمَةً وَهيْئَات مُؤْتَلِفَة، فَلَا يَنال مِنْهَا الْعَقْلَ إِلَّا صُورَتُها الذِّهْنِيَّة، وَدَلالَاتُهَا الضِّمْنِيَّة.

وإذا كان قوام الألفاظ بمعانيها ومفاهيمها، فإنّ الأبنية الصرفية هي السنخ والمحتد الَّذِي يُخرِج الحروف –في وجودها- من الظُّلمَ، ويبعثها في حياتها من الصَمَم، ويضفي عليها وجوداً دلالياً فاضلاً، وعبقاً تداولياً فائحاً، وأريجاً من الاستعمال ناشزاً.

ويكفي أن نمثل لها بلفظة الرحمة التي تعني من منظور معجمي الرقة والعاطفة، ولكنْ للمعنى مسرب آخر، ومربعٌ مشخص، إنْ نظرنا إلى المعنى من جهة المبنى، وحيثية الصيغة، فهي تعني التجرد من القيد، والجنوح إلى الإطلاق من التلبس بالذات والزمان والمكان في ارتداء اللفظ صيغةً مصدرية.

ويدل على ثبوت المعنى إن وقع اللفظ على أحد أبنية الصفة المشبهة، ويحمل معنى المبالغة والتلبس بالذات وهلم جراً...

وبهذا تتبين القيمة المعرفية التي تنتجها الأبنية في مجال التداول والاستعمال، والعطاء الزاخر الَّذِي ترفد به المعاني اللفظية في دقة الاختيار والإيثار، ولا أحسب أن هذا مما يغفل عنه الأريب، أو يأباه الأديب. فكم من معنى حكيم، وقصد لطيف ومعطى عقدي حصيف أرفده البناء الفني، وأنجزه الاختيار الصرفي.

ومن تمعن في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصافات ١٦٠.

أدرك ما تفي به الصيغة من بُعد عقدي يعتلي، بها، النص، وتفيض منها الدلالة، من حظر توصيف الله على كل أحد سوى من أخرجهم التوظيف الصرفي في دقة الاختيار .

**أولاً: دلالــة الأبنيــة الفعليــة :**

**١. الماضــي :** دلالــة الأبنيــة المجردة

قال تعالى:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ آل عمران ١٤٤

حدث الْمَوْت أسند، في الآية الكريمة، إلى الرسول الأكرم في سياق شرطي معلقفي ضمن إطار قضية مهِّمة ومَفْصليّة في حياة الدعوة الْإِسْلَامية وديمومة بقائها. تتمثل بامتداد القيم والمبادئ التي أرسى أصولها الْإِسْلَام، وعمل على إنجازها وإنجاحها بعد انقطاع الوحي وأفول النفس المحمدية الطاهرة.

وفيه دلالة على أنَّ الْمَوْت أمر وجودي وشأنٌ طبيعي خلقه الله جنباً إلى جنب مع الحياة، وجعله قناة لكل موجود إمكاني مهما ربا كعبُه، وعلا مكانه.

واقتران الحدث الماضي بأسلوب الشَّرط، جعل زمنه في آن التخاطب موقوفاً ومعلقاً أيضاً، لكي يُرسِّخ أصلاً موضوعياً خطيراً في أثناء زحف المعارف الإلهية والإشراقات الربانية؛ ويؤكد أن حياة الرسالة غير منقطعة بالموت، ولا متقهقرة بغياب الشخصية.

إن سياق الآية فيها مظَّنة الخَوَر، وأمارة الاختلاف والشقاق، وتزعزع القيم، وتهورها ونكوصها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة ٨٤.، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، البقرة ١٦١﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، آل عمران ٩١، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، محمد ٣٤.

خطاب الآيات الْقُرْآنية يكاد يكون متقارباً، أو يجتمع في مآل واحد، فقد جاء حدث الْمَوْت في ضمن سياق عقدي كاشف عن مصير فئام من الناس، قد اجتمعت كلمتهم على الكفر، وماتوا على معتنقهم، فكان جزاؤهم أن حُرِموا من صلاة النبي وبركة القيام، كما في الآية الأولى.

ونالوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين في الآية الثانية، وأُنزل بهم عذاب أليم، إذ لا معين يغيثهم، ولا حامٍ ينصرهم، في الآية الثالثة.

وحرمهم الله من غفرانه وبركاته في الآية الأخيرة.

وقد اختلفت الآية الأولى، عما بعدها، في الجزاء، وطبيعة ما يمكن أن ينتفع به الميت من الدار الدنيا، والله نهى رسوله عن الصلاة على المنافقين معللاً ذلك بكفرهم. وفي التعليل إشارة إلى أن النهي منشؤه الجريان الطبيعي لسنة التكوين، فكل من غدا في مربع الكفر نال جزاءه الفعلي في الخارج من السنن الكونية والقوانين الإلهية. وفي الآيات الأخر افتتح معتقدهم بالتوكيد المرافق للتوصيف «إن الذين كفروا»، ثم عُزِّز بالإصرار«وهم كفار» لينبئَ عن تلوّن الذات، وتبدل فطرتها على نحو غابت فيه المعالم، وزالت عنده الآثار، فآل جزاؤهم إلى الخسران والفقدان. وأي عذاب أفظع من تلوّن صور العذاب بين اللعن والعذاب الأليم وإبعادهم عن مقطن الغفران.

إن حدث الْمَوْت يلحق الذوات الممكنة، ويدرك الموجودات المُتعيّنة بلا تمايز واستثناء، ولكن مجيء الموت، في سياق حِكَمي، كاشف عن صيرورة الأعمال ومآلها يوم القيامة -وهو المعبَّر عنه بالمعاد- له مزية في خلق جوٍ مرهف مفعم بالمشاعر، ومغدق بالأحاسيس، يُحرِّك القلب، ويزعزع التفكير البليد المطبق على الترهات والأماني الخائبة التي تعبث بسعادة الإِنْسَان، وتصرفه عن كماله.

إن جوَّ الآيات أرعب نفس المتلقي، وأسدل عليها رداء الحجة، وألبسها ثوب العزيمة في الخروج عن بوتقة التقليد والإصرار والمعاندة.

ومن تمعن في مفردات النصوص المتقدمة، سيجد أن ائتلاف حدث الْمَوْت معها، قد

شخَّص سِمات أسلوبية معبرة، وتراكيب تعبيرية منمقة، تكشف عن براعة الاختيار وحسن الرصف وجمال السبك. فالموت، من حيث هو حدث فعليّ،قد اعتاد عليه الناس، وألف وجوده، ولكن لّما وُثّق بأواصر عقدية، واجتمع بألفاظ جزائية، وتزامل مع أجواء عقابية، أوجد تأثيراً، وأوجب تغييراً، والنفس في الإجابة تهرع عندما يقترن المألوف بالمحظور والمحذور.

**ثانياً : دلالـــــة الأبنيــة المزيــدة :**

لم يستعمل الْقُرآن من الأبنية المزيدة سوى المقترن بالهمزة.

قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّه أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ غافر ١٠-١١

المبنى الفعلي مقترن بالهمزة الزائدة التي يراد بها إيصال أثر الفاعل إلى المفعول، وكونها مقدمة في مساق الاعتراف والندم والاعتذار، تفيد التسليم بالقدرة المطلقة والقيمومية المهيمنة التي تقوم بها الأشياء كلها.

إن الحدث في استدعائه مع عناصر النص أعطى بعداً غيبياً، وأدى وظيفة عقدية، قوامها الإيمان بالحساب، والإيقان بالمعاد.

والزمن الماضي أكثر إيقاعاً في الإخبار، وأشد تحققاً في القرار، إنْ وقع في ضمن أحداث مستقبلية خارجة عن سقف حياتنا الدنيا، وأفق منظومتنا الإحساسية.

ولكن للمعنى ببعده التغييري قراءات متعددة، حاول أصحابها أن يسبروا أغوار معنى الحدث، وأن يغوصوا في تشخيص مصداقه، وأنْ يقدّموا أفقاً دلالياً، وتصوراً معرفياً، يقرِّبوا فيه المسافة بين النص والقارئ.

وقد وُجِّه التعبير الْقُرآني عندهم على النحو الآتي:

إنّ المراد بالموتتين: الأولى خَلَقَنا أمواتاً. والثانية صيَّرَنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا[١]. والهمزة على هذا المنحى أخذت مسلكاً آخر، والدلالة فيها سلكتْ معنىً مزدوجاً.

- إن الأولى عند انقضاء الآجال. والثانية في القبر[٢].
- إن الأولى عند تصرّم الحياة الدنيا والثانية عند نهاية البرزخ[٣]. أو كما يسميها

بعضهم عندما ينفخ في الصور[٤].

- إن الأولى كونهم في أصلاب الآباء. والثانية عند تخرّم الآجال الدنيوية[٥].
- إن المراد بالموتة الأولى كونهم نطفاً مودعة أرحام الأمهات. والثانية عند تخرّم الآجال في الحياة الدنيا[٦].
- الأولى كونهم في صلب آدم. والثانية بعد تصرم الحياة الدنيا[٧].
- إن الأولى إماتة القلوب. والثانية إماتة الأبدان[٨].

وفي ضمن هذه التَّوجيهات نجد سِجالاً فكرياً حول المبتنيات والمعتنقات، يرسخ بكل مفسر رأيه، وتَقُومُ حجته، وينهض دليلهُ.

والذي يبدو لي: أن التعرض إلى المبنى والآية موقوف على جملة من الأمور:

- إن الآية الكريمة عرضت قالة الكافرين وجسدت أفكارهم.
- لم تبين الآيات مقدارهم، ولم تحدد أعدادهم، فلا يعلم أيُرادُ بهم الكَفَرة جميعاً من الأولين والآخرين أم كُفّار حقبة زمنية محددة.
- إن الآية الكريمة لم توضح محل الحوار، أهو في البرزخ أم في عرصات القيامة. أما قرينة «فهل إلى خروجٍ من سبيل»، فهي لا تعني أكثر مما يعانيه الإِنْسَان بعد انتقاله من حياته الدنيا، سواء أكان في البرزخ أم في المعاد.
- لم تحدد هوية المنادين والداعين. أهُم الملائكة أم المؤمنون المتنعّمون بالجنان.
- إنَّ تحديد الإماتتين والحياتين مرهونٌ بتصوّراتهم، وموقوف على فهمهم طبيعة الموت. وقد أجرى الله الحديث على لسانهم. ليؤكد ذلك.
- إن الحياة والموت يتناسبان مع سنخ العالم وطبائع الوجود، وهما يرافقان الروح، فإذا ما نزلت إلى عالم المادة «نفختُ فيه من روحي» أعطت بحلولها الحياة وأورقت بنورها الجماد. وإنِ ارتحلتْ أُطفئَ السِّراج، وعمَّ الظلام، وأدّت تصوراً مفهومياً للفراق. وعلى شاكلتها نشأة البرزخ وما بعدها.

والعجب كل العجب من المفسرين، إذْ اختلفوا في تفسير قول الكافرين، فراحوا يؤوّلون ويوجهون غير ملتفتين أن قالتهم كائنة في نشأة غير مادية، سائقها الندم،

وباعثها الاعتراف بالرجوع بعد الموت، والقيام للحساب والعقاب.

إنَّ مفهوم الْمَوْت في المنظور الْقُرْآَني يتأسس من مرابع الحياة الدنيا، ومراتع العالم الفاني، التي تكون حركة الوجود فيه، بأسرها، محددة بآنٍ زمني، ومقيدة بإطارٍ كوني لا يتجاوزه.. تتغير وتتجدد ثم يحين فناؤها، وينقضي كيانها، فتؤول إلى العدم. ولكن لا بما هي إشراقات وأنوار.

نعم، يصير إلى الفناء من كانت عناصره مادية، وأجزاؤه ترابية لا غير، ويتخلص ما تجرد منها، وتلطف عنها، إلى محل الثَّواء ومنزل السَّعادة أو الشَّقاء.

وكون الإِنْسَان الميت، يرزح في ظل عالم المثال، أمر اقتضاه النّظام في تهيئة الأرواح قبل حلول السَّاعة، ونزول يوم الطَّامة، التي تكتمل فيه مقادير الأمور، وتنتقل فيه قافلة الوجود، بهجرتها، نحو الكمال المطلق اللامحدود، إيذاناً بانتهاء الكون والوجود المحدود، واستقبالاً لليوم الموعود الَّذِي تنصب فيه الموازين للفصل والقضاء، ومِن ثَمَّ المُكوث في أرض الخلود، والبقاء الممدود.

٢. المُضـارع :

**أولاً : دلالــة الأبنيــة المُجردة :** قال تعالى:﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم ٣٣، ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، مريم ١٥

المَبنى فِي الآيتين مُتَشَابِهٌ، وَدَلالَةُ الْحَدَثِ فِيه بِزَمَنٍ مُبْهَمٍ، حَدّهُ زَمَنُ التَّكَلُّمِ أَوْ الْخِطَابِ، وَأَمْرُهُ مَوْقُوفٌ عَلَى نِظَامِ التَّسْبِيبِ وَالتَّقْدِيرِ، وَقَدْ اقْتَرَنَ بِكَلِمَةِ «يَوْم» الْمُبْهَمَةِ لإِسْدَالِ السِّتَارِ عَلَى آنِ الحَدَثِ.

وَمِنْ جِهَةٍ أخرى إنَّ الاثنين اقْتَرَنَا بلَفْظَةِ السَّلَام وَمَفْهُومه المُعبِّر عَنْ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالْحفْظِ وَالْعِنَايَةِ، للْدَلالَة عَلَى اللُّطْفِ الألهي، الَّذي يُحيقُ بِالنَّبيِّ فِي الْمَرَاحِلِ الْعَصِيبَةِ الَّتِي يَتَخَلَّلُهَا فِي تَقَلُّبَاته، وَيَرِدُهَا فِي انْتقالَاته، ابتداءً من الدُّنْيا، دَارِ الْبَلاءِ وَمَنْزِلِ اللّأْواء، وَمروراً بالْمَوْتِ وَسَكَرَاته، وَانتهاءً بالْبَعْثِ وَأَهْوَاله وَشَدَائده.

إِنَّ الآَيتين اِخْتَلَفَتَا فِي جِهَةِ التَّكلُم وَالْخِطَابِ، وَقَدْ اِسْتَدْعَى التَّخْطِيط الرَّبَّانِيّ أَنْ

يَكُونَ النَّبي يَحْيَى مَوْضعاً لخطَابه عزَّ وَجل، وَالنَّبيَّ عيسَى مرآةً يَتجلَّى فيهِ كَلاَمُهُ، لأنَّه وَاقعٌ في ضمْنَ مُعْجزَة الْهيَة، هدَفُهَا إشراقُ عهْد جَديد، يُطلُّ عَلَى سَمَاء الإنْسَانيَّة، وإطواء طَور تَليد، فَأجرى التَّسْبيبَ مَرْحَلَةَ التَّغْيير ابْتداء منْ ولاَدة عيسَى«عليه السلام» منْ دُون أَب، ثُمَّ تَكَلُمه بالْحَقِّ وَهُوَ طفْلٌ صَغير....

وإذَا مَا تَأملنَا مَلياً فِي لَحْنِ الآيتَين ووَقَفْنَا فِي مَقْصَديهما، وأَخذْنَا، بعَينِ الْاعْتبار، مَنشأ الْقَوْلِ ومَصْدَره، وَالسَّلام الَّذي يُرَافقُ الإنْسَان في مَنَازِله، تبَيَّنَ لَنَا: أنَّ الْمَوْتَ حَقيقَة وَاحدَة، وَقَدْ تَطلَّبَ، فِي حينه، السَّلاَمَة للْنَبيِّ، وَهذَا يباين قَوْل الْكَافرين(أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) جداً؛ وإنْ كَانَ قَوْلهمْ فِي غَيْر نَشأة الدُّنْيا؛ لأنَّ الْقُرْآن قَدْ شَخَّص لَنا أَطْوَارا ثَلاثَة، لتَقَلُّبَات الإنْسَان، ابْتداء منْ حُلُول الرَّوْح عَالَم الدُّنْيا....

يقول الطباطبائي في قصة يحيى: «والسَّلام كون المحل بحيث كل ما يلقاه الانسان فيه فهو يلائمه من غير ان يكرهه ويخاف منه. وتنكير السَّلَام لإفادة التفخيم أي سلام فخيم عليه مما يكرهه في هذه الأيام الثلاثة الَّتي كل واحد منها مفتتح عالم من العوالم الَّتي بداخلها الانسان ويعيش فيها، فسلام عليه يوم ولد فلا يمسه مكروه في الدنيا يزاحم سعادته وسلام عليه يوم يموت، فيعيش في البرزخ عيشة نعيمة، وسلام عليه يوم يبعث حياً فيحيى فيها بحقيقة الحياة ولا نصب ولا تعب»(٩).

وقد فهم الطاهر من كون السَّلَام في قصة عيسَى مَعرفاً، الإذن بأفضليته، إذْ يقول: «وجيء بالسَّلام هنا معرفاً باللام الدَّالة عَلَى الجنس مُبالغة في تعلق السَّلَام به حتى كأن جنس السَّلَام بأجمعه عليه. وهذا مؤذن بتفضله عَلَى يحيى»(١٠). ولم يلتفت الطاهر إِلَى أنّ المسلم عَلَى يحيى «عليه السلام» هو الله، وعلى عيسى«عليه السلام» هو عيسى نفسه(١١). وثمّة فرق بينهما. نعم، يبقى التفضيل لعيسى ولكن ليس من لحن الخطاب.

المهم انّ الحدث، ظرفه الزَّمني مجهول، سابح في بحر الغيب، لا يعلمه الا الله عزّ وجلّ، وقد أحاط به الأمان، وناط به السَّلَام درءاً للأهوال والمحن.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾. الزمر ٤٢

الحدث الفعلي الَّذي يتلبس بالفاعل منفي بالأداة «لم» الَّتي تجعل الزمن ماضياً متصرماً، وقد قُيِّد الحدث بالمتعلق «في منامها»؛ ليعطي دلالة مغايرة للموت الطبيعي، وهو - في المقام- لا يستطيل، فيئيض موتاً.

واقتران الحدث، المنفي بفعل التوفي، المنسوب إِلَى الله عز وجل، أعطى بعداً غيبياً ومطلباً عقدياً، مفاده: إنّ التوفي لا ينال الأنفس عند موتها، بل يشمل النائم الَّذي لم يبلغ أجله، وينته أمدهُ. وتوفِّيها يكون، بقطع تصرفها وتعلقها عن البدن، في آن محدود غير ممدود. وفي ذلك يقول الإمام الرازي:

«تعلق جوهر النفس بالبدن عَلَى ثلاثة أوجه أحدهما: أن يقع ضوء النفس عَلَى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، وذلك اليقظة. وثانيها: أنْ يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه، وذلك هو النوم. وثالثها: أنْ يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية، وهو الموت، فَثبُتَ أن الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفياً للنفس، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة في صفات معينة»(١٢).

وقد يقال: ان كان المناط قطع التصرف وتدبير البدن، فهذا كائن للطفل والمجنون، وحاصل في حالتي السكر والغيبوبة.

إنّ منطق الآية صريح في تحديد موردين اثنين للتوفي: الأول في الموت والثاني في النوم. ولكل عنوان منهما ما يناسبه من اللوازم والاستحقاقات. فالقبض لا يكون إلاّ في حالة قطع التصرف، وازالة العلقة بين المدبِّر وأداته، في غير حالة اليقظة، بشرط أنْ يعقبها استذكار والتفات من حالة كان البدن فيها معطلاً من التصرف الإرادي؛ والنفس فيها تسبح بعيداً عن المادة، بردائها اللطيف، في أبحر عالم النُّور والتَّجرد غير التَّام، إِلَى حالة الصَّحوة البَدَنيَّة، والثّقل المادي حيث الزَّمان والمكان و....

وليس كذلك المجنون، فان النَّفس، وان كانت موجودة، إلا انها لا تؤدي وظائفها المقصودة، وغاياتها المطلوبة، فالقتل والعيث والفساد أفعال للنفس، لكنها عَلَى غير

وجهها. وكذا حالة السكر، فان تعطيل القوى معه، يعني صرفها عَلَى غير مرادها كالقتل والزنا والسرقة... وحاشا أنْ يكون معها التوفي؛ لأنّ النفس ترزح تحت ظل كثيف وستر أحوى، لا تبصر معها النور...!!

وإنْ قيل: إنّ أخذ الشيء وافياً مع الموت بيّنٌ. ولكن مع النوم ليس كذلك. إنّ أخذ الشيء وافياً من لوازمه قطع التعلق والارتباط بين النفس وأدواتها، وهذا في حالة الموت يكون معه إمساك، ولا إرادة للإنسان في مباشرة الفعل.

أما في حالة النوم - وإنْ كان القصدُ له إرادياً أو نصفَ إرادي- فإنّ مآله بيد الله. فالحي، في شروعه وابتداء فتوره، يقهره الله بتدبيره، ويجرد نفسه من ظرفها، ويصرفها عن تعلقها، آخذاً إياها إِلَى عالم أرفع، ترتع في تجرّدها، وتفرح في تخلصها من سجن البدن وقفصه المدلهمّ.

وقد كان للقراءات التفسيرية الأثر الكبير في توجيه النص المقدس، وإيجاد الصلة الوثيقة بين النوم والموت، وما ترتّب عَلَى كل منهما في المعرفة الدينية(١٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾، طه٧٤، فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى.... ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾، الأعلى٩-١٣﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشرا وَنَذِيرًا.... وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ الفرقان٥٦-٥٨

إنّ ما يميز مبنى الحدث في الآيات المتقدمة أسلوبه الخبري المنضوي تحت النفي «لا يموت »، وهو يحمل انزياحاً جمالياً، وطاقة تعبيرية رابية. ولكن تمايز المفهوم يخرقه طبيعة المصداق الَّذِي يقصده الحدث المنفي. فيكون ثمة تغاير في المعطى الدلالي، يعقبه معرفة منجزة عَلَى النحو الآتي:

- إنّ مصداق الآيات تظهر به هويتان: الأولى مذمومة، مثّلته آيتا سورة طه والأعلى. والثانية: محمودة، مثّلته آية سورة الفرقان.
- إنّ طبيعة الفعل يقتضي سنخاً ملائماً للطباع في الجزاء. وقد كانت النار واصطلاؤها جزاء ذاتياً لمن تقمص رداء الكفر والضلال.

وصفة الحياة الكاملة، الَّتِي لا يعتريها هلاك، تستجلب الصمدية، وتستدعي المقصدية.

- إنّ جمال الاقتران وحسن الانتظام ينبئ عن دقة في الاختيار وبلاغة عالية في الإيصال والإخبار. وقد اقترن حدث الموت المنفي مع حدث الحياة المنفي في صفة الكفار؛ لكي يرسخ ضلالته بين الطريقين، ويؤكد شدة ما لحق به من ضرر، وأحاق به من القهر، فلا هو بميت، فيسلم من سَوْرة الالم، ولا هو بحي، فيخلص من مغبّة النقم.

ولكن جاء اقتران حدث الموت مع صفة الحياة الكاملة في مورد الله عز وجل، ليدل تقابل النفي، عقب الإثبات، عَلَى أنّ هذه الحياة كاملة تامة، لا يسانخها موت ولا يطرأ عليها فوت.

- إن ميدان الحدث ومقطنه في الهوية الأولى صحراء المحشر، في حين أنّه، بنفيه مع الهوية الثانية، لا يحدّه حدّ، ولا يستوعبه عدّ؛ لأنها محض الوجود، وقد تنزل الحدث معها للتمثيل، وتقريب مفهوم الحياة الكاملة.
- إنّ الزمن الَّذِي تكون أحداثه في نشأة غير دنيوية؛ لا ريب أنّه فوق الزمان الدنيوي بأبعاده الثلاثة، وهو من منظور مادي، لم يكن، وغير متحقق في الحال. أمّا الزمن الَّذِي يرافق الحدث المجتلب للتمثيل، فهو لا يكون الا لنفي الشأنية الَّتِي لا يزاملها زمن، ولا يقيدها حين.
- وهو في أفق التلقي يقدِّم منظومة إدراكية توجب تفصم الروابط بين الذات وروابطها غير القيمية؛ لأنّ للخصال المذمومة والسلوك المعوج مسلكاً ازلياً إِلَى الردى، وفي الوقت عينه ثمة مسار مقوّم ومنار مكرّم، لا يغفله القرآن، ولا يجهله الفرقان، يقود النفس إِلَى معاليها، ويسوقها إِلَى مرابيها. إنه التوكل والاعتماد عَلَى الدائم الَّذِي لا نفاد له. لذا يقول الطاهر: «في الآية إشارة إِلَى أنّ المرء الكامل لا يثق الا بالله لان التوكل عَلَى الاحياء المعرضين للموت وان كان قد يفيد أحيانا لكنه لا يدوم»[١٤].

**ثانياً : دلالــة الأبنيــة المزيدة**

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ الحجر ٢٣، ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۞ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۞ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾. ق ٤١-٤٣، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ال عمران ١٥٦، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، الاعراف ١٥٨﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، التوبة ١١٦، ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، يونس ٥٦﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، المؤمنون ٨٠، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، غافر ٦٧-٦٨، ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۞ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ الدخان ٧-٨، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحديد ١-٢،

المبنى الفعلي - في الآيات المتقدمة- مضارع، ماضيه مزيد بالهمزة الَّتي يراد بها النقل أو التعدية، ومن شأن هذه الوظيفة الصرفية أنْ تجعل دلالة المبنى مغايرة لما عليه المجرد؛ إذ لا يتلبس الفاعل بالحدث تلبس إنهاك وإهلاك، يقع عليه بقهر، وينزل به

بجبر، لأنّه مُنتِج وباعِث، والحدث، من فيضه، مترشح، وهو يتطلب المفعول في الإيقاع والانفعال. وهذا لا يحصل إلاّ للموجود الحي الأزلي، الَّذِي يكون الموت جزءاً من إيجاده المتمم لنظام التكوين ونسق الوجود.

وكون الحدث الفعلي مُنتَجاً، يفيض بالتجدد والاستمرار، خارجاً به من الأسر الزمني والتحيّز الآني؛ ليؤسّس قانوناً كونياً، يكون المُنتج، معه، الفاعل المنظِّم والربّ المدبّر، الَّذِي لا أفن في سلطانه ولا وهن، ولا خلل في مقدوره ولا عطل.

وفي تنظيم ثنائية مفهومية بين حدثي الموت والحياة، بصورة البناء الفعلي، كشف لهوية عالم الإمكان، الَّذِي يتجاذبه المفهومان المتقدمان، وإجلاء للانتظام في مفردات التكوين، وتأكيد لقدرة الفاعل، وترسيخ لتدبيره.

ولتخلل هذين المفهومين دليل النظام، والبعث والمعاد، فائدة كبيرة في الحجاج والإقناع، لإنهما من أكثر المفاهيم ارتباطاً بالإنسان وتعلقاً به، فهو يشعر بوجود نفسه (حياته)، ويعلم أنّها آيله إِلَى الزوال، يوقفها الموت ويقعصها الأجل.

وإذا علم أنّ وجوده محل لهما، وعرف أنّهما، ينزلان من غير اختيار، رسخ اعتقاده وثبت إيقانهُ أنّهما من غيره، ولهما مقصد وغاية. وكلما تفكر في مجانبة الأشياء للفوضى والاعتباط بمعنى: إنّ الموت لا يخطيء ابداً، سلّم عنان التدبير إِلَى فاعل قدير وصانع حكيم.

إنّ هذا الاختيار المنطقي لا يحيد عنه الاريب، ولا يتجاوزه اللبيب، ولكن عَلَى فرط ظهوره، ينكص منه المعاند، ويهرع منه الجاحد.

**٣. الأمـــر:**

الأمر، بصورته وصيغته، يُراد به طلب إنجاز الحدث، فان كان الباعث للأمر من ذي رتبة عالية، ألزم الإنجاز عَلَى وجه الوجوب... وقد يخرج من وجوبه إنْ كان للسياق دخالة في توجيه الطلب وزحزحته عن نصيته إِلَى الظاهر والمحتمل. والسياقات القرآنية زاخرة بالمعاني المجازية الَّتِي يخرج إليها الأمر. ولم يأت من هذه المادة الا موردان:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، البقرة ٢٤٣، ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾، ال عمران١١٩

المبنى مشتق من المضارع، الَّذي ماضيه مجرد، وهو - في الظاهر- يراد به الإنجاز والتحقق، وكون الآمر هو المدبِّر القدير، فوقوعه لا يتخلّف ولا يحيد.

ومن الطبيعي أنْ يكون للمفسر قراءته للمبنى، بعد أنْ اقترن بغيره من عناصر النص، الَّتي تجعله يحتمل اوجهاً. وقد كانت التوجهات والرؤى ناظرة إِلَى جوانب عدة. منها: القول أو الخطاب، وكون الأمر بالموت، وحصول الإحياء بعده، وهي عَلَى النحو الآتي:

- أن يكون الأمر حقيقياً بالجعل. يتمثل بوقوف القلب وذهاب الإدراك(١٥).
- أنْ يكون الأمر مجازياً للتحقير(١٦).
- أنْ يفهم بالمقاربة، اي: أراهم الله مهالك، شموا منها رائحة الموت(١٧).
- إنه أمر تكويني، وهو أدلُّ عَلَى نفوذ القدرة وغلبة الأمر(١٨).
- أنْ يكون الأمر غير حقيقي، وهو عَلَى معنى الإماتة، وإيثار الصِّيغة للدلالة عَلَى أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وكأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالاً من غير إباء ولا توقف(١٩).
- أنْ يكون الأمر تكوينياً لا تشريعياً. ولكن الموت في الأمر لا يراد به الحقيقة بل هو كون العدو نكل بهم، فافني قوتهم، وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعدّ أمة، بأن تفرق شملها، ذهبت جامعيتها، فكان من بقي من إفرادها خاضعين للغالبين(٢٠).
- أنْ يحمل الأمر عَلَى الخبر (الإماتة) أي: أماتهم الله، والإماتة تصير بمنزلة استفتاح الافعال(٢١).

والذي يبدو من الآية، ويعزِّزه السياق، أنّ الأمر لا يراد به – حقيقة – طلب الإنجاز في التخاطب؛ لانه ليس من أمر التشريعات، كما يُأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها، فيؤتى بالأمر عَلَى إرادة واختيار. ولكن امتثال الأمر مع الموت محتاج –في الإيقاع – إِلَى إرادة تعطي الفعل، وهذا غير كائن البتة إلاّ بالقتل في مورد سورة البقرة ((فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)) البقرة ٥٤.

إذاً، يعود الأمر إِلَى التكوين، والامتثال – متحقق – في التسخير والتمليك.

وقد أفاد السَّبزواري من الآية: ((ان الإنسان لا يمكنه الفرار من مقدرات الله تبارك وتعالى، وان الهلع لا يرد قضاءه، وان الواجب عليه التسليم))[٢٢]. وما ينقله صاحب المنار عن شيخه لا يخرج عن التكوين. لكنه يجعله للأمور المعنوية، وهو رأي ضعيف، ويمكن أنْ تحتمله الآية بالنظر إِلَى الاستعمال المماثل في قوله تعالى: ((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا)) الأنعام ١٢٢. ولكن منطق الأمر في التكوين يختلف عنه في الإخبار عند التخاطب والحوار. نعم، يفهم الإخبار من اللزوم، فالأمر الإلهي لا يتزلزل ولا يتقهقر، ولفرط إيقاعه وإنجازه يكون حاصلاً متعيِّناً، وهو، من هذه الجهة، خبر لقوله تعالى: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شيئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) يس ٨٢. ومنطق الآية يؤكد أنّ الأمر الإلهي، في الآن نفسه، إخبار (يكون)، إذ لا توجد فاصلة زمنية – في التكوين- للإنجاز.

ويكاد يكون الإجماع من لدن المفسرين عَلَى قراءتهم فعل الأمر، في الآية الثانية، في خروجه من بابه، وإنْ كان ثمة اختلاف في التوجيه عندهم. ولا نعدم من وجود قراءات اخر للمبنى في التعاطي والتفسير. وهي عَلَى النحو الآتي:

- إن الأمر خرج من بابه، واستعمل للدعاء عَلَى المخاطبين بأن يزداد غضبهم حتى يُهلكوا به، وقد تجلى ذلك، من قوة الإسلام وعز أهله، ومالهم، بهما، من الذُّل والخزي[٢٣].
- إنّ الأمر استعمل للإخبار، أي تموتون ومعكم الغيظ، وهو للذم عَلَى قبيح ما صنعوا [٢٤].

- إنّ الأمر استعمل للتوبيخ والتقريع. كقوله تعالى: ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)) فصلت:٤٠؛ لان الدُّعاء ينتج أثره، ويفضي، بالمدعو عليه، إِلَى الموت، والإخبار لا يتصرف في منظومة الغيب(٢٥).
- إنّ الأمر ليس للوجوب، ولا للدعاء، بل هو أمر للنبي «ﷺ» وأمته أنْ يواجهوهم بما يوجد لهم الغيظ(٢٦).
- أنْ يكون أمراً بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أنْ يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام واذلالهم، كأنه قيل: حدث نفسك بذلك(٢٧).
- إنّه محمول عَلَى التمثيل. كما يقال: فلان يعظ أنامله عَلَى فلان إذا بلغ الغيظ غايته(٢٨).

والذي يدعو اليه التدبير، وقرائن السياق إنّ المبنى خرج عن أصله، واستعمل للدعاء، ولكن ليس عَلَى سنخ الدعاء المراد به الإنجاز الفوري بالموت. بل هو دعاء للتثبيت و التعزيز عَلَى تلك الهيأة من الغيظ، والحسد، والألم الَّتِي توجب، فيما يلازمها، رفعة الإسلام، ومنعته، وعلو الدين وهيبته.

انه دعاء حامل للتجريح والتحقير، باعث للذم، وموجب للألم في نفوس القوم المخاتلين الذين يفصحون بالمنطق الرخيم، ويكتمون الغيظ العريم، فاستحقوا من دعاء الرسول ألم المرارة ووَبَد القرارة حتى يهلكوا فيه.

**ثالثاً: دلالة الأبنية الأسمية :**

تفيض الأبنية الاسمية في العربية، وتربو عَلَى الأبنية الفعلية، ولكن حدود الحاجة إليها رهين بطبيعة الاستدعاء، وجمال الانتقاء، الَّذِي ينسجم مع غرض التكلم و مقصده.

وكلا البنائين – اللذين يعدان ميداناً خصباً لدراسة الصرف العربي، ومترعاً غنياً للتعرّف عَلَى أبرز مسائله وقضاياه – ينتميان إِلَى مقولة واحدة، وينمازان بطبيعة البناء، وخصائص الصيغ، فضلاً عن اللواحق واللواصق الَّتِي تقترن بهما. وقد عنّ لنا، فيما سبق، التصريفات، الَّتِي تتقلب بها الأبنية الفعلية، وهي تحمل في طياتها من

الدلالات الشيء الكثير.

وفي الأبنية الأسمية نجد أنّ المشتقات الَّتي تترشح من الجذر اللغوي، والصور الَّتي تخرج بها، ليس لها سجية صرفية واحدة، بل تتجدد الوظيفة في كل ظهور، وتزخر بالمعطيات السياقية في كل حضور، وهي، في جملتها، لا يتلبس بصيغتها الزمن، ولا يتوقف حدثها في آن.

والمستدعى بحسب الاختيار والمقصد الغائي:

١. **المصـــدر :**

المصدر، عند أهل الفن، له نحوان من الدلالة :

**الأولى**: الدلالة عَلَى الحدث العام المطلق من التلبس الذاتي والتقيد ألزماني، والتحيِّز المكاني. وما يجري عَلَى هذا السمت جلُّ المصادر.

**والثانية**: دلالة ضيقة يكون الحدث فيها مشخصاً، فثمة دلالة عَلَى السير، والصوت، والمرض والحرفة وهلم جرّا، والمتمعن في القرآن، سيجد أنّ الأولى تربو عَلَى الثانية.

وإلى جانب هذا العنوان ثمة تخصيص يقيد العنوان، ويضفي عليه بعداً وظيفياً آخر كما نجده – عند أهل الفن – في المصدر الميمي، ومصدر المرة، ومصدر الهيأة والمصدر الصناعي.. ولم يقتصر الاستعمال القرآني في عرض مطالبه عَلَى المصدر العام بعدّه العنوان الصرفي الأكثر ظهوراً. بل إنّ هناك تجلياً للمصدر الميمي ومصدر المرّة ومصدر الهيأة، لما لها من دلالة في كشف مقاصد خطابية.

وقد جاء المصدر من هذه المادة عَلَى النحو الآتي:

قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، البقرة ١٩، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، البقرة ٢٤٣، ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، البقرة ٩٤، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، الجمعة ٦-٧، ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا۞ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ

الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، الأحزاب ١٥-١٦﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، ق ١٩.

المبنى، في الآيات، مصدر يدل عَلَى الحدث المجرد، وقد جاء معرفاً، ليحمل معه هوية وجوده الشاخصة، الَّتي لا تخفى عَلَى أحد، فهو موجود، لفرط ظهوره، ملأ الأعيان والأذهان، وأصبح هاجساً يدوّي في فضاء الخيال، وشبحاً يهدِّد سعادة الإنسان...!

في الآيتين: الأولى والثانية تجلى صراحة في خلق جو نفسي مفعم بالقلق، والاضطراب، والتزلزل لدى عصبة من الناس، أصبح شغلهم الشاغل توقي الموت والحذر من أسبابه، وهذا من التصور الفطري المذموم؛ لأنّ بواعثه الركون إِلَى حلاوة الدنيا ومفاتنها، وإنْ كان فيها تخلٍ عن القيم، وانصراف عن الشيم.

وإذا كانت الآيتان المتقدمتان تظهران الاضطراب والزُّؤْد، فان الآيتين الثَّالثة والرَّابعة يفصحان عن الغيب الباطني والنفاق الداخلي، الَّذي ألظّ بهذا الصنف من الناس، ممن تربوا عَلَى الإحن والإدهان، يظهرون من الفعل أحسنه، ومن القول أعذبه، ويكفتون من الحقد أعلاه، ومن الشر أقصاه. وقد رازهم الله وجربهم، عَلَى صدق مُدّعاهم وحسن مبتناهم، بتمني الموت، ثم أخبر – وهو المخبر الصادق – أنّ ذلك لا سبيل اليه عندهم، وليس له مبتغى لديهم.

أي: إن الله جعلهم عَلَى المحك؛ لانّ من يدّعي القرب والولاية يستقبل الموت بروح، وريحان، وشوق، وافتنان؛ ينال به من القرب أدناه، ومن الزلفى أوحاه، حتى لا تصرفه الغفلة ولا يشحطه النأي. وفي الموت يتحقق العلو ويتعمق الدنو.

وفي هاتين الآيتين تصحيح لنفور الأوهام، ورهبة الأنام من الموت، وقد جعله الله فيصلاً للتمييز، وفارقاً للتحديد، فمن يهاب الموت كانت أسباب الدنيا لديه مترعة، ومفاتيحها عنده مودعة، لا يتصور حياة أجل نفعاً وأعظم نقعاً من حياة الدنيا، لذا تمسك بأذيالها، وتشبث بشعابها، وقد صفا له وِدُّها، ودامت له نضارتُها، فكانت نفسه فيها عازفة عن كل ما يكدِّر صفوها، ويقطع عليه حلاوتها، والموت يقعصها عن لذائذها وغرائزها، فهو ذميم عندهم...!!

ولكن للحب واللقاء مطية ذريعة ومقلّة سريعة، تتمثل بالموت، فالحدث نفسه منتج للحياة الأبدية الخالدة في جنب الله ورحمته، ولا لذة أسمى قيمة، ولا منفعة أجل سجية من جوار الله. لذا كان الأولياء من أسرع الناس في تمني الموت؛ لان به جنة اللقاء، ولذة القرب، وهذا غير كائن مع الذين هيمنت عَلَى قلوبهم متعة غريزية زائلة.

ومن كان في ظرف المحبة، لا تطرأ عليه سكرات الموت، ولا ينزل به ألم الفوت ؛ لان قلبه لا يحيد عن ذكر المُحبّ، ولا يغيب عن شكره، ولا يغفل عن حمده، فهو حاضر في كل شيء.

وفي الآية الخامسة حديث عن الرهبة، الَّتِي يوجبها الموت في قلوب واهني العزيمة، ضعيفي الإرادة، ممن أهرعوا إِلَى الدنيا بنقض عهد الله، وأسرعوا إِلَى الدعة بفسخ ميثاق العقيدة، فأيقنوا أنّ الموت يخرمهم عن اللذائذ، ويبعدهم عن المسرات، ولا سبيل إِلَى ملاقاته – عندهم – وإنْ أوجبت عقيدتهم، وألزمت ديانتهم.

ولكنْ للتصور شيء، وما عليه واقع التكوين شيء آخر، فقد خاطبهم الله، رداً عَلَى أوهامهم وأخيلتهم الباعثة للتقهقر والنكوص، بأن الموت نهاية حتمية، يبلغا كل موجود، وسقف ظليل فوق كل محدود، وليس للإنسان، ما دام في هذه الأرض الدنية، أمد ممدود، وسَكَن معمور، لا يناله الفقد، ولا ينزل به النكد. إذاً، هو في متاع قليل ونقاء يسير، ومثل هذا لا يؤثر في العيش المديد والعمر الرغيد، الَّذِي لا نصب فيه ولا صخب..

وإذا كان الموت من منظورهم يحسم النعم، فانه، من منظور منظومة الغيب يزيل العوالق، ويزيح العوائق، ويفتح الباب للنعيم الأبدي السرمدي. ولكن بشرطه وقيوده، والعقيدة الصحيحة السلمية مما يوجب له ذلك.

وفي الآية القرآنية الثبات عَلَى العهد، والإقدام عَلَى المضي، والجهاد في سبيل الله يزوي الأنانية، ويُربي الروحانية، فينال السعادة الكبرى الَّتِي لا يدانيها شيء.

وفي الآية الأخيرة حديث عن المبنى، بما يرافقه ويلازمه من مصاعب ومحن، تنزل بمن

حلّ أجله، ودنا أَمَده، وهو في مقامٍ لم تخلص سريرته، ولم تَطْهُر نيّتهُ من التعلق بغير الله عز وجل، فينالهم، في النزع، ألم، ويكابدهم سقم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ال عمران ٦٨

حدث الموت جاء مع فعل التمني الَّذِي يفيد التجدد والاستمرار، ليدل عَلَى أنّ هؤلاء النفر قد انصرفت أنفسهم من حطام الدنيا، وتوجهت ذواتهم إِلَى ملاقاة الله بالتمني، وروم الحتوف ببأس شديد حتى توصلهم إِلَى مطلبهم وغايتهم.

ولكن كون تمني نزول الموت متعلقاً بفعل الكينونة الناقص، ومقيداً بشبه الجملة الظرفية «من قبل»، وإضافته إِلَى الفعل المؤول «تلقوه»، أعطى للتمني أسباب الفشل، وللإرادة الصلبة بواعث الوهن، فأضحى التمني مصيدة في الاختبار، وعملاً معاباً في الاختيار.

يقول الطاهر في الموت: «أريد به تمني لقاء العدو يوم أحد، وعدم رضاهما ان يتحصنوا بالمدينة ويقفوا موقف الدفاع... فالتمني هو تمني اللقاء ونصر الدين بأقصى جهدهم، ولما كان ذلك يقتضي عدم اكتراث كل واحد منهم بتلف نفسه في الدفاع، رجاء أن يكون قبل هلاكه قد ابلى في العدو، وهيأ النصر لمن بقي بعده، جعل تمنيهم اللقاء كأنه تمني الموت من أول الأمر، تنزيلاً لغاية التمني منزلة مبدئه»[٢٩].

واحتمل الطاهر غير ذلك بقوله: «ويحتمل ان يكون قوله (تمنون الموت) بمعنى تتمنون موت الشهادة في سبيل الله فقد رأيتم مشارفة الموت إياكم، وانتم تنظرون من مات من اخوانكم، اي فكيف وجدتم أنفسكم حين رأيتم الموت، وكأنه تعريض بانهم ليسوا بمقام من يتمنى الشهادة»[٣٠].

وقد كانت قراءة الطباطبائي لتمني الموت عندهم، فيها عتاب وتوبيخ، إذ إنهم في الغيبة يتمنون، وفي الحضور لا يقدمون، بل يتولون ويفشلون وليس من الجائز ان يُدخل الجنة من كان متمنياً من دون اختبار وتمحيص[٣١].

وفي تمني الموت إشعار بالقرب من الله والزلفى لديه من حيث هو أداة للوصول

والظفر بالمطلوب، وهذا مرهون – من منطق الآية – بمجاهدة أعداء الله، فما هي الا لحظات، يميل فيها المتمني بسيفه، فيكتسي ثياب الموت، ويضحى التمني والتصور عيناً ناجزة إنْ كان الباعث للفعل العزم والحزم.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۞ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسرعُ الْحَاسِبِينَ﴾، الأنعام ٦١-٦٢، ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ السجدة ١٠-١١، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر ٤٢

في الآيات القرآنية الثلاثة ثمة علاقة وطيدة بين التوفي والموت، لأنهما بمعنى، فالتوفي، كما سبق، هو أخذ الشيء تاماً وافياً، ومصداقه، في الموت، جلي، إذ به يكون الإنسان قد أخذ نصيباً من هذه الدنيا تاماً بحسب ما جرى عليه النظام الطبيعي، في قيامه عَلَى مبدأ العلية وقانون التسبيب.

والثنائية بين المفهومين لا تأخذ طابعاً عرضيا استقلالياً في العزو والانتساب، بل إنها تجري عَلَى سمت واحد ومسار طولي، يُفهَم التفرد فيه بالمفهومية، الَّذي ينال كل واحد منهما حصته من التصور والإدراك، لا التخالف في الفعل والأثر، الَّذي تكون المصاديق فيه تجليات ومرائيَ لفعل تام أعلى وأجل. إنها صور لانعكاس الفعل، وهو ما يسمى بمفهوم التشكيك، الَّذي يقتضي التمايز بالمفهوم فحسب. فالتوفي والإجراء الإنجازي واحد، لكنه يختلف من حيث التحقق، وشدة الظهور. ولاغرو أن تكون ظهور الذات الإلهية به في ذروتها من التمام والكمال، ويأتي ملك الموت بِعدّه «الملك المدبر» القائم بهذه الوظيفة دونه في الشدة والظهور؛ لأنّ المرتبة الدانية، وان تجلت بالفعل، تبقى فاقدة لكمال المرتبة العالية، ويأتي دونه في الظهور والفقدان الملائكة والأعوان.

وفي الجميع ثمة تشابه في الموت والتوفي، وتباين في الموت والتوفي أيضاً، وهذا يرجع إِلَى أنّ ما به الامتياز هو عين ما به الاختلاف.

أمّا من الجهة الأسلوبية، فإننا نجد في الآية الأولى: أنّ الموت يتحرك وينتقل، وفي إثره التوفي يدركه، فإذا طرق باب أحدهم، تبعه التوفي، وكأن الموت ينزع الروح والتوفي يقبضها، ويرسلها تامة وافية.

والتعقيب بجملة «لَا يُفَرِّطُونَ» يكشف عن الإحكام في النظام، والصرامة في التقنين، والسلامة من الفوضى والعبث. وبمعنى: إنّ الوظيفة الإلهية والنيابة في التدبير لا تقبل التخلّف، ولا تؤول إِلَى السَّرف.

وفي الآية الثَّانية تصحيح للمعتقد وتقويم للمسار، فالضلال في الأرض يوجب المصادفة، ويفضي إِلَى الاعتباط. في حين أنّ الموت جزء من نظام حكيم، وقانون منيع، له ملك يقدره ومسئول يدبره، قد وُكل به قادر عظيم.

وفي الآية الثَّالثة يباشر الله عز وجل التّوفي بنفسه حين الموت من دون فوت. وفي التَّعبير بنسبة القضاء إِلَى الموت، وإيقاعه عَلَى الأنفس، لطافة ودقة، لما له من معنى الحكم، والحتم، والإجهاز عَلَى الأنفس بالاحترام. وإذا ما كان في الموت زلازل الوجل وسلطان الهلع، فان الممسك المتوفي مصدر الرّحمة، الربّ الودود، ولا يخفى ما فيه من الشَّرافة والكرامة والعظمة، فضلاً عن الشّعور بالأمن والطمأنينة؛ لأن الذات الإلهية – في حضورها وظهورها – لا تجانب الرحمة، ولا تجافي الرأفة.

قال تعالى﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام ٩٣

المبنى في الآية القرآنية مصدر مجرد باعتبار الوظيفة، مقيد باعتبار القرائن واللوازم اللفظية. إنه حدث تكتنفه اللأواء، وتُحيط به البأساء، وتحيقه الضراء. أطرافه وانحاؤه من الأهوال الجسيمة والنوازل العظيمة، وسرادقه من يحموم المحن وغصص

البلية.

وقد جُعِل من الحدث وعاء يترعه المضلّون، ويفعمه الظالمون، الذين تزين لهم الكبر، فافتروا كذباً وقالوا ترهاً، وادعوا خطلاً.

ومن دقيق السبك وجميل الحبك ان تكون مبادئ الظالمين ومآخيرهم واقعة في طرفي تصارع وتعاند، فهم في أوج دولتهم رابون سامقون، لا تُثنَى إرادتهم الجامعة ولا عزيمتهم الجانحة، لهم ما يشتهون، وفي فعلهم ما يريدون من دون صارف ولا صادف. وعند أيول عزّتهم وأفول قوتهم، يلاقون ما لا يشتهون، ويصارعون ما لا يبتغون.. انهم في أوج ذلتهم ينالهم الوصب، ويهجم عليهم النصب، ويتجرعون العذاب الاليم.

والمبنى في ضمن سياق التَّحقير والتَّصغير يشي بالدلالات الايحائية المتعددة الَّتي تأخذ بأفق المتلقي إِلَى عرصات القيامة، وتجرّ مكامن عواطفه، لكي يستحضر الخوف والوجل، وهو يشاهد أهل النعمة والبطر من المترفين الذين كانت لهم صولات في المحل وجولات في الدَّغَل، قد نزل بهم القهر، وبلغهم الخطر، ودغرهم الذعر، وأحدقت بهم أرسان البلية، ودارت بهم رحى المنية. ومن زيادة الذل والمهانة خاطبتهم الملائكة بخروج ما ليس بمقدورهم.

يقول الطاهر: «والأمر للإهانة والإرهاق أغلاظا في قبض أرواحهم ولا يتركون لهم راحة ولا يعاملون بلين. وفيه إشارة إِلَى أنهم يجزعون فلا يلفظون أرواحهم وهو عَلَى هذا الوجه وعيد بالآلام عند النزع جزاء في الدنيا عَلَى شركهم»[٣٢].

وثمة دلالة إيحائية أشار إليها فضل الله، في أمر الملائكة، تتضمن تسليم الظالمين أنفسهم باختيارهم من دون تردد أو رفض، لكي يُخلق الشعور بتفاهة دورهم وخور وجودهم أمام عظمة الله وقوته[٣٣].

والموت، إمّا أنْ يكون جارياً عَلَى حقيقته، ووعاء الغمراء ظرفيته، مستعمل لشدة الوقع وعظمة الوضع، وإمّا أنْ يكون تمثيلاً، لما لهم يوم الحشر في منازعة الشدائد وأهوال القيامة، بحال من هم في غمرات الموت وشدائد النزع لتقريب الحال وإلاّ فأن

أهوالهم يومئذٍ أشدّ من غمرات الموت[٣٤]. وقد يضيق الوصف عن التقريب، لأنّ المصاعب جمّة ونوازل البلية جليلة، ليس بمقدور الذهن تصوّرها وتخيّلها.

وبالجملة فان نظام التكوين يدلنا عَلَى أنّ ثمة علاقة وطيدة بين الموت والحياة، من أفق العلم ومنظور العمل. يتباينان تبعاً لتباين موضوعاتهما، ويختلفان لتجافي موضوعاتهما. وفي كل منهما يكون الموضوع الممكن الأشرف «الإنسان» هو المصحح لمسيره والموجه لمصيره، فهو يحيى حياة طيبة، ويزخر بعيشة سعيدة، ما دام عَلَى نظرة التوحيد ومسلك التعقل والتفكر لآيات العظمة ودلائل القدرة ومجاري التدبير، ثم يعقبها موت يريحه من أدران التجاذبات الواهمة والتعلقات الزائفة، وليس ثمة ما يقوده إِلَى ذل وتنديد وذم وتهديد.

ويلقى الأسى ويتجرع الجوى غصة بعد غصة، وتهجم عليه الرزايا، وتقصده البلايا، من نطافة المستند وصلافة المعتقد، فتكون ميتة هم سانخة، في التنكيل و التحقير، لما تواطأت عليه مساربهم، واتفقت عليه مأربهم، في النَّأي من الفطرة والنهي عن التبصرة. وفي المقام الوصف مقتضى لنزول قوارع العذاب وصواعق العقاب.

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ إبراهيم ١٥-١٧

المبنى المصدري ارتصف في سلك عقدي، وارتسم في تصوير حركي متكرر ممتد، يبرز الحدث المجرّد، ويلوّنه بأطياف من المشاهد الحيوية الشاخصة بالخوف والوجل والرهبة والهيبة، ما يجعل الصورة تعكس الواقع المرّ المفعم بالإفزاع والحالة المفضعة المدهقة بالالم والضياع.

إنّ الوصف – من الصورة – يشي بالشعور النفسي والاضطراب الفكري، ويحمل معاني القلق والحذر والترقب، لنزول المحن وحلول العقاب. وفي اضفاء الحركة والإدراك، للحدث المجرد، قيمة تعبيرية خلاّبة، وجمال أسلوبي بديع، تزحزح أفق التلقي، وتخيب توقعات الانتظار. وأي انزياح في الأسلوب عندما يكون الحدث ذا

حياة غير معهودة، له انطلاقات عديدة في حركته، وله مسارات مديدة في الوصول إِلَى غايته، وكأنه حلقة تضيق بصاحبه من جميع الجهات، كلما رنا إِلَى جهة منها، بدا له وجه الموت، فيصعق من الرهبة، ويقعص من الخيفة.

ويجوز أن يراد من الموت – من اقترانه بفعل المجيء – الأمر الكنائي المعبر به عن الدنو والاقتران، بما يفرزه وجوده من الهلع والفزع، بدليل قوله: «وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ »؛ ليكون وقع العذاب بليغاً وغصص الآهات والأنات عميقاً.

وهذا التجسد كائن لأهل العناد والتضليل، الذين بدلوا سنخ الفطرة وأصل السجية؛ ليكون مصيرهم المحتوم عَلَى غرار فعلهم المذموم، ينال، بتكبره، الصَّغَار والدخار جزاء وفاقا.

قال تعالى:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك ١-٢

لا خلاف في أن المبنى مساق لإظهار قدرة الله العظمى وحاكميته الكبرى، وربوبيته المطلقة في الوجود، إذ أشار إِلَى أبرز مظهرين من مظاهرها، وأهم مقدورون في النظام والإنسجام ، فبها تأخذ الممكنات حقها من التدبير، ونصيبها من الايجاد. وليس ثمة موجود امكاني لا يعتوره هذان الوصفان، ولا تعرض عليه هاتان الكيفيتان.

ان الله أوجدهما متعاقبين متقابلين، إذا نزل أحدهما في محل، زال عنه الآخر. ولكن ثمة قراءات تفسيرية تنال التراكيب ببعدها الدّقي، ولحاظها اللفظي، تنبعج من كون الموت والحياة وصفين عارضين، ومعنيين مجردين، ليس لهما الا قبول الإتصاف والركون إِلَى المحل، فاختلفت لذلك مسالكهم، وعنّت للقارئ اتجاهاتهم، ولاقتران الوصف العارض بحدث فعلي، له بعده العقدي «خلق»، غدا تعاطيهم الموضوع في المعالجة للحدث الفعلي تارة، وللحدث المصدري تارة أخرى، فكانت عَلَى ما يأتي:

- أن يحمل الفعل عَلَى معناه، ويعطى للحدث المصدري الصفة الوجودية أو الأمر الوجودي(٣٥).

- أنْ يحمل الفعل عَلَى معناه، ويؤول الحدث عَلَى التعلق بالمضاف المحذوف «اسبابه»[٣٦].
- أنْ يحمل الفعل عَلَى معناه، ويؤول الحدث بالزمان والمدّة. أي: خلقُ زمانٍ ومدّةٍ معينة لهما[٣٧].
- أنْ يحمل الفعل عَلَى التقدير، ولا مشاحة في ذلك مع الحدث[٣٨].
- أنْ يحمل الفعل عَلَى معناه، ويحمل المعنى المصدري عَلَى الامر العدمي. ولكن لا العدم الصرف الَّذي لا يقبل الخلق[٣٩].
- أنْ يحمل الفعل عَلَى معنى الإيجاد والازالة[٤٠] ، ويستقيم المعنى مع الحدث.
- أنْ يحمل الفعل عَلَى معنى الإنشاء والاثبات، والحدث عَلَى معناه؛ لان الإنشاء يجري في العدميات[٤١].
- أنْ يحمل الخلق والموت عَلَى معناهما؛ لأنّ الله خالق الجواهر والإعراض[٤٢].
- أنْ يحمل الخلق عَلَى معناه، ويفسر الموت بحقيقته الَّتي هي الانتقال من عالم إِلَى عالم آخر، وهذا أمر وجودي لا عدمي[٤٣].
- أن يحمل الخلق عَلَى معناه، ويفسر الموت بالأعيان «النطفة والعلقة والمضغة»[٤٤].
- أنْ يحمل الخلق عَلَى معناه، ويفسر الموت بما يقابل العرض استناداً إِلَى الحديث والأثر، فقد ورد: الحياة والموت خلقان من خلق الله[٤٥].
- وان الموت يذبح بين الجنة والنار[٤٦].
- أن يحمل الخلق عَلَى معناه، ويحمل الموت عَلَى الجسمية الملكوتية لا الملكية بتقريب: إنّ الصفات والملكات لها تجسد وتصوير في عالم. الملكوت، وعالم الآخرة مما تظهر به تلك الصفات الباطنية. ويؤيده قول الرسول: «يذبح الموت بين الجنة والنار عَلَى صورة كبش...»[٤٧].

وثمة تحليلات فلسفية وكلامية وعرفانية أصدفنا عنها، لأنها قد تخرج البحث عن مساره. وايا ما كانت القراءات تبقى نسبة الحدث إِلَى الفاعل كاشفة عن قدرة غير متناهية، يرزح تحتها كل موجودات عالم الخلق من دون استثناء أو تخلص، وقد وقع

هذا الحدث، واختار مفعوله المناسب؛ لكي يؤدي دوره في المجال التوحيدي والجانب العقدي.

والذي أحسبه في المقام ان استعمال المعنى المصدري وإرادة الحدث المجرد أبلغ وأنهج في الدلالة عَلَى كمال التدبير وتمام التقدير، فهي تقدم الاستقلالية المطلقة لله عز وجل، وإقامة الأشياء في وجودها وبقائها ودوامها وفنائها – سواء أكانت من الجواهر أم الأعراض – به عَلَى نحو الافتقار والحاجة الوجوديتين، ولو كان المعنى بيده، وتحت قدرته الموت والحياة، لما أفادت أنّ المقدورات برزت منه، ومثلت بين يديه. نعم، ليس ثمة إنكار في أن أفق القارئ لا يتصور الحدث المتقدم مجرداً من دون ان تتلبس به الذوات، ففي مفهوم الحياة نجد ذاتاً يشع عليها هذا النور، ويفضي إِلَى الحركة والاحساس والعلم والتعقل... وفي مفهوم الموت ثمة جواهر يطرو عليها الجمود، وينتابها القطع والخمود. ثم إنّ التقدم في الموت يفيد ما تترتب عليه الغاية في الاعتبار.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة ٥٥-٥٦

المبنى مساق في ضمن جو اعجازي ومجال عقدي• ، يؤكد – فيه– تعزيز الثقة، وترسيخ المعتقد عند المخاطبين، إنْ كانوا من أنصار موسى «عليه السلام»، ويقيم الحجج العينية، والبينات المرئية للقوم بالبعث بعد الموت، إنْ لم يكن من خواص النبي«عليه السلام».

وتعلق الحدث بصاحبه – في السياق – يكشف عن موت مخصوص، يطرأ ببواعث قصدية وأسباب حينية، وهو العقاب الَّذِي لا يستتبع الزوال والانتقال عن النشأة الدنيا مطلقاً، بل نحو مخصوص من العقوبة، المراد بها تجلي آيات العظمة وظهور دلائل القدرة، وانحصار التوحيد الربوبي به دون سواه في البعث بعد الاماتة.

ولما كان الحدث جارياً في إطار الدعوة الموسوية، كان للإعجاز دخالة في ردع المعاندين، وكبت المضلين، الذين لا تفتأ مساعيهم، ولا تضعف سواعدهم في الأود

والاعوجاج، والنكوب عن الاستقامة والاهراع إِلَى اللِّجاج.
وقد فهم الطاهر أنّ الموت المشار اليه – في النص – يستتبعه حياة؛ لأنه نازل عن حادث قاهر، لا يستعقبه فساد الاعضاء، فيكون رجوع الجسد إِلَى طبيعته الأولى مرهون بإعادة الاسباب وزوال المانع(٤٨).ولكن لا أرى لهذا الرأي وجاهة؛ لأنّ المفهوم فيه متحقق ناجز، وإعادة الأموات إِلَى الحياة ليست بمستبعد عَلَى قدرة الله.
إن الطاهر تحمس لرأيه بدافع مذهبي وميل عقدي لا غير.
وفي التعقيب بـ «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»دلالة عَلَى الامتنان والفضل، إذ إنّ إعادة أسباب الحياة مما يوجب التعرف إِلَى عظمة الخالق وبديع صنعه وتدبيره، فضلاً عن التوجه بعد الغفلة والالتفات بعد الغيبة إِلَى حضرة الواحد الأحد بالتضرع والخشوع.
والشكر فرع المعرفة.
قال تعالى:﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ النساء ١٥٩
الحدث مشخّص في الآية، ومحدّد بالإضافة، ولكن موضوعه متردد بين المفسرين(٤٩).
استناداً إِلَى عودة الضمير، ومدار الحديث، ولاسيما أنّ الفعل المضارع استعمل للمفرد، وهذا ما جعل النسبة بين الاثنين متساوية نوعاً ما.
ولكن ثمة قرائن – سواء أكانت متصلة أم منفصلة – تؤكد رجوع الضمير إِلَى النبي «عليه السلام»، وهي:

- مجيء النفي بـ(إنْ) مع الاستثناء المفيد للتأكيد.
- ذكر الخبر وحذف المبتدأ؛ لكي يعطي دلالة العموم في إقامة الحجة.
- استدعاء القسم والنون المؤكدة الَّتي تجعل الفعل للمستقبل زيادة في التأكيد.

فيكون نسق التأكيد هو المهيمن في إفادة القطع بالإيمان، وجريانه في أفق الاستقبال لا يكون إلاّ إذا كان شخص النبي حياً، والإيمان به يوعب ذوات أهل الكتاب.
وقد اختار السبزواري عودة الضمير إِلَى عِيسَى «عليه السلام» بعد أنْ عزز رأيه بقرائن، إذ يقول: «ان الآية الشريفة في المقام بضميمة سائر الآيات الكريمة تدل عَلَى ان جميع

أهل الكتاب بل جميع الناس سوف يؤمنون بعيسى «عليه السلام» وأنه حي لم يمت، ويعود فيؤمن به الاحياء فتتحد الأديان كلها. واما من مات من أهل الكتاب قبل نزوله فانه يؤمن بحقّيّته عند موته»(٥٠).

وعلى أي كانت إحالة الضمير، فان النفي المؤكد والتخصيص والقسم، توجب أنْ يكون أنجاز الفعل واقعاً قطعاً، سواء تحقق قبل موت المؤمن به أم المؤمن له.

وفي تقييد الحدث بالضمير كشف الخصوصية المورد واهمية المجال، وقد كان المجال عقدياً، له أهميته في مستقبل الحركة التوحيدية المصححة لمشارب القوم ومسالكهم.

والإيمان به إخبار من الله، لا يتخلّف أبداً – وهو المخبر الصادق – وفيه دلالة عَلَى أنّ الرسالة الالهية والسفارة الربانية، بها من نصوع البيّنة، ووضوح الحجة ما تكون جلية إِلَى كل الأذهان، وغير خافية عَلَى كل الأعيان. وفي دنو الموت وحلول الأجل ما يكشف المستور، ويفضح المختور؛ إذ لا سبيل إِلَى كمي الحقيقة آنذاك، واللسان يتلجلج والنفس تتزلزل بسكراتها. بمنى: إن كان إيمانهم عن سائق بصيرة، فالنبي«عليه السلام» عليهم شاهد، وإن حصل مما يمنعه العناد و يكفه اللجاج، ظهر عند النزع، والنبي في ذلك عليهم شهيد عَلَى سوء تصنعهم وقبيح تعنتهم عن ارتياد طريق الحق.

قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، البقرة ١٦٤، ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، النحل ٦٥، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، العنكبوت ٦٣، ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، الروم ١٩، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم ٢٤، ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، الروم ٥٠، ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ فاطر ٩، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، الجاثية ٥، ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحديد ١٧،

المبنى المصدري في الآيات المتقدمة شخصته الجهة، وقيّده الضمير، فخرج عن نسقه المأمول ومسربه المألوف، فقد كانت المقاصد والغايات تحيد إِلَى ثمرة عالم الإمكان، وتتوجه إِلَى لُبِ دوحة الأعيان، ولأجله أسّس الخطاب ونزل الكتاب.

والعدول في الخطاب هو انتقال في المعالجة، وتلطيف في المعاملة، لتأخذ الخطابات القرآنية دورها في التأثير والإبلاغ، ولاسيما إنْ كانت المطالب مستمدة من الأفق المرئي والمنظور الحسي، الَّذِي يألفه البدوي، ولا ينأى عنه الحضري. أي: إنه مما تركن اليه فطرتهم ولا تنكره جبلتهم. فكان موضوع الحدث – في النصوص – الأرض، مع انها لا تقبل الحياة والموت الواقعيّين، بوصفها ذاتاً تتوارد عليها مقولتان، ويعترها وصفان. الأول يكسبها النضارة والبهجة والاخضرار، ويودعها مسك وأريج. والثاني يُنزل بها التباب ويُحِلُّ بها اليباب. فكان احياؤها سبباً للعطاء والنماء، وإماتتها ذريعة للحسم، ووسيلة للهلاك.

وقد سيق الحدث – باقتراناته – بصور شتى، ليعطي أدواره التبليغية ووظائفه العقدية عَلَى النحو الآتي:

- اقترن مع الماء والسحاب والإرادة التكوينية القاضية بجعل هذه المفاهيم حوداث رتيبة تتوالى في تدرجها وتحققها مشكلة منظومة إدراكية لا يحيص عنها الذهن؛ لتكون سبباً للتعقل والتفكر الَّذِي ينتهي إِلَى قال واحد في المعرفة، وهو الإقرار بالتدبير الربوبي.
- اقتران الماء والسحاب والارادة بالمعنى المصدري، وما يقدمه من نسق في

الانتظام؛ ليكون وسيلة للسماع، وذريعة لتقبل رسالة السفراء الذين يبعثهم الله، لفتح أستار الظلام بمفاتيح النور والضياء. ولا ريب ان التقبل والتعقل فرع السماع.

- إنّ الاقتران المزَّبور يكشف البعد العقدي المتمثل بالمعاد، فالأرض الموات، إذا سيق اليها السحاب، وسحّ إليها الرضاب، أورقت أركانها، وأينعت أرجاؤها، وأخذ نور الحياة يدبُّ إليها. وهي – في التمثيل – تجري عَلَى سنخ النشور، وشاكلة البعث. وفي التقريب يجلُّ النفع، وينجع التأثير؛ لأنّ الحَراك في المعالجة الحية من شأنه أن يوغل الفكرة إِلَى القلب.
- إنّ الحدث المصدري في اقترانه بالحياة والأرض. وبعده النسقي يكشف عن نصوع الحقيقة وسطوع الحجة لدى النفس البشرية. وقد ساقها الله عَلَى شكل محاورة مع سجية النفس في ضمن أسلوب شرطي، لا يقبل التخلّف. وبمعنى: إن فطرة الانسان ناطقة بالتوحيد الربوبي.
- إنّ اقتران الحدث بالحياة والأرض في ضمن أسلوب أمري، يراد به التوجه والالتفات بعد السبت والغفلة – إِلَى العناصر المترابطة والأحداث المتتابعة في مظاهر التكوين الَّتي تزامل وكنهم، ولا تزايل وكرهم؛ ليكون التأمل في بديع الوقع، وجميل الصنع سبباً للإذعان والإيقان.

وفي الجملة ان مفهوم الموت، عندما يحدد موضوعه بالأرض، فانه لا يراد به اقعاص البدن، وتهور الروح، وعروجها إِلَى مقامها الأرفع. بل يقصد به التقريب والتمثيل، لتبلجها وازدهارها بعد بوارها. يقول الطاهر: «وأطلقت الحياة عَلَى تحرك القوى النامية من الأرض، وهي قوة النبات استعارة لأنَّ الحياة حقيقةً هي ظهور القوى النَّامية في الحيوان فشبهت الأرض به»[٥١].

**٢. مصدر المرَّة:**

وَهو المصدر الدَّال عَلَى الحدث. ولكن ليس عَلَى اطلاقة. بل مشخصاً بجهة العدد، فتكون الدَّلالة منظوراً إليها بلحاظ المرة.

قال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۞ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الدخان ٥١-٥٦، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۞ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۞ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ الصافات ٤٠-٦٠، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ الدخان ٣٥

المبنى في الآيات المتقدمة يشترك في جملة من المقومات، ويختلف في أخرى عَلَى النحو الآتي:

- إنه يدل عَلَى الحدث المشخّص بالعدد والوصف.
- إنه مقترن بأدوات النفي ومساق في ضمن أسلوب الاستثناء.
- إنه ذو طابع عقدي.

ويختلف في:

- جهة الصدور. ففي الأول المتكلم هو الله. وفي الثاني عبادهُ المخلصون. وفي الثالث عبادهُ المتمردون.
- سياق الصدور. ففي الأول والثاني جاء للنعمة والحياة الهانئة والعيش الرغيد. وفي الثالث ثمة أجواء للجاج والعناد، تنفي دوام النعم وفيض البركات عما أعدّه الله لعباده المخبتين.

- إنّ الأفق المكاني والحيّز ألزماني، الَّذِي تمثله الآية الأولى والثانية، والمحيط السكاني لهم، رحمة الله وملذاته. ولم يكن المناخ الَّذِي ترزح تحته الآية الثالثة سوى الواقع الدنيوي المحدود الَّذِي حفّت أرجاؤه بالصخب والوصب.
- إنّ الجو النفسي الَّذِي تُعيّنه الآية الأولى والثانية قد أوعبته الغبطة ولزمته المسرة، فهم في أفراح واصبة، لا جزع فيها ولا ترح.

والاستفزاز المزاجي والأزيز العاطفي وتوتر النَّفس وزعزعتها وإيولها إِلَى القلق والاضطراب حال الفئة الأخرى، الَّتِي لا تبارح الإنكار، ولا تزامل الإقرار. همُّها ذاتها، وغايتها نفعها وتقممها. وليس من شأنها أنْ تؤجج كوامنها وتثير دفائنها، لترفع إيديولوجيتها وتؤسس لرؤيتها الَّتِي لا تحيص عن الحق.

- إنّ الآثار المترتبة عَلَى نفي الموتة الأولى في النصين الأول والثاني. تتمثل بثبات حالهم وخلود ذواتهم في رياض فاكهين، فلا موت ولا فوت.

وتأكيدها في النص الثالث متأتٍ من انكار البعث والإجحاف بالمعاد؛ إذ ليس في منظومة هؤلاء اليُهْم كون أبدي، ولا حياة خالدة تعقب الموت. وشتان بين مآل القالتين.

عودة عَلَى بدء ان المبنى في الآية الأولى اقترن بالوصف؛ ليكون استثناء منقطعاً من جملة الحدث العام «الموت»، تأكيداً لنأي طرو الموت في نشأة الثواب والجزاء. وبمعنى: إنّ حدث الموت، وإنْ كان عاماً شاملاً إلاّ أنّ نزوله مقرون بنشأة التبدل والتغير، ومرهون بحال التكلف وموطن الإبتلاء. أمّا دار القرار، فليس لها تخوم يقف عَلَى أعتابها شبح الموت. وهذا النفي في منظومة العدل الإلهي، لا يسانخ الألم ولا يواطيء العذاب. وفي الآية الثانية اقترن الاستفهام المقرر بالنفي عن تلبس الذات بالحدث مع الاستثناء، ليفيد توطيد خلو تلك الدار من أية موتة سوى ما رافق وجودها في نشأة النزول ووديعة الحلول. وقد اقترن النفي بسلب العذاب؛ ليعطي سنّة إلهيّة في التكوين مؤكداً ذلك بترسيخ قيم الخير والظفر.

وفي الآية الثَّالثة التأكيد أبلغ في النَّفي عند استدعاء الحرف «إن» وانضوائه في

أسلوب القصر، فيكون عطاء التعبير راسياً عَلَى تعزيز النفي وتوثيق الإنكار بعقيدة البعث والنشور. ويخيل أنّ في التعبير، رداً عَلَى من حمل الفكرة، ويعج بالتبليغ.

والمبنى – فيما تقدم – وان دل عَلَى المرة بذاته إلاّ أنّه قُيّد بالوصف تأكيداً للمعتقد وتقوية للقالة. وليس بينها أدنى مضارعة؛ إذ إنّ القول في الآية الأولى والثانية فرع التحقق والإنجاز من دون تجاف بين النطق والواقع. وبواعث التوكيد في الآية الثالثة التوقع والإخطار من دون أنْ يطابق الإخبار لسان الحقيقة وعين الواقع، فهو إذاً، يسانخ نفاقهم، ولا يبارح زعاقهم.

**٣. المصدر الميمي :**

لم يفرق سيبوية، من حيث الدلالة، بين المصدر والمصدر الميمي، إذ يقول: «وان كان الفعل مصدراً أُجرى مجرى ما ذكرنا من الضرب والسير وسائر المصادر الَّتِي ذكرنا، وذلك قولك، ان في الف درهم لمضرباً، أي ان فيها لضرباً...»[٥٢].

وهو ما يفهم من كلام المبرد[٥٣] والسيرافي[٥٤] أيضاً.

وقد بدا لبعض الباحثين المعاصرين أنّه لا مطابقة تامة بينهما، فالمصدر الميمي يحمل معه عنصر الذات، ويعطي دلالة نهاية الشيء وخاتمته، ممثلاً بجملة من النصوص القرآنية، إذ يقول في قوله تعالى: «إِلَيَّ الْمَصِيرُ» الحج ٤٨:((إِلَيَّ الْمَصِيرُ الحج:٤٨ لا يطابق «إليّ الصيرورة» فان المصير يحمل معه عنصراً مادياً.... هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ان المصدر الميمي في كثير من التعبيرات يحمل معنى لا يحمله المصدر غير الميمي فان «المصير» مثلاً يعني نهاية الأمر بخلاف الصيرورة...))[٥٥].

وعلى الرغم من التحمس الشديد الَّذِي أبداه الباحث من تحليل ظريف ومعنى لطيف إلاّ أنّه محمول عَلَى التغليب. ولا يصدق الحمل عَلَى التعميم والاطّراد، وقد مثل الدكتور الحلواني بعبارات تخرج عما بدا للسامرائي عَلَى النحو الآتي:

١. لا تدع المَلام يفسد العلاقة بينك وبين أخيك.
لا تدع اللوم يفسد العلاقة بينك وبين أخيك.
٢. ان في هذا الإجراء لمظلمة لأخيك.

ان في هذا الإجراء لظلماً لاخيك[٥٦].

وفي التَّمثيلين كليهما لا نجد عنصر الذَّات ولا دلالة الانتهاء.

والذي نركن إليه في الظهور، ونحتكم عنده في السفور، الموضوع والسياق الَّذي يرد فيه، وليس لعنصر الذات عروض لولا فسحة السياق ومساحة القرائن، والانتهاء، في جلها، يؤديه حرف الغاية أو المغيّا في النظم، ولا أظن المقارنات الَّتي عقدها السامرائي تجدي نفعاً؛ لأنّ للسياق القرآني خصوصيات، ومنها الذوق الفني والجرس الموسيقي.

قال تعالى:﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾، الإسراء ٧٥

الممات، في النَّص، أخذ حيزاً مهمّاً في التبليغ، ومجالاً رحباً في التوصيل، وكشف عن قانون إلهي، لا يفيء ولا يُدرأ، ينال بسلطانه كل من ركن إِلَى الظالمين، وتهافت عَلَى المتكبرين في سننهم المضلة، ومجاريهم المخزية، ووقوفهم عقبة بطريق التوحيد. والرسول عَلَى علو كعبه، وشموخ مقامه خاطبه الله بهذا اللحن الشديد، وكلمه بلهجة الوعيد، لتكون سنن العدل الالهي صارمة في التطبيق وحاسمة في التنفيذ.

الموت سنة طبيعية. لكن عذابه متفاوت وآلامه وسكراته تختلف بحسب طبيعة المعتقد، والآية أوجبت عذاب الضعف، وألماً متكرراً لمن يخطأ ويصبأ، وتؤول عاقبة أمره إِلَى العناد والإلحاد. ولم يكتف العذاب عند حدّ، ولا يقف عَلَى عدّ. بل تعززه البراءة من النصر الالهي والعون الرباني، من دون أنْ يكون للشفيع تأييد ولا للقريب تضميد، فيضحى في عراء الحشر، ينازع الألم، ويقاسي النقم، ويتجرع الويل والثبور.

ومن بديع الاستعمال مجيء الحدث في تركيب مُعلّق مفيد للتوعيد، ليتسنى، للمتلقي، معرفة الأطراف الموجبة للسقوط والسخوط.، وجعل الخطاب بالمباشرة لشخص الرسول؛ ليكون حال القريب، في المحاسبة، كحال غيره، وإذا كان هذا شأن الرسول، فكيف بمن سواه، وعلاوة عَلَى ذلك تضمنت الآية ذكر الألطاف الالهية

المتمثلة «بالتثبيت» وهو المعروف بالعصمة الَّتي تمنع الإنسان من المزالق والزحالق.
قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السيئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الجاثية ٢١
جو الآية وإطارها العام يتحدث عن الذين يسعون إِلَى المنكر، ويصدفون عن الاستقامة، اتخذوا الموبقات، وتلبسوا بالسيئات، فغدى تفكيرهم منحسراً، يخال أنّ العدل زيفاً والقيم تخريفاً، فلا يفضلهم أحد بسبق، ولا يقدمهم فرد إِلَى غدق، فهم ومن يمتثلون الحق سواء...!
إن الآية ناظرة إِلَى المجال الثقافي الَّذي كان يسود فئام من الناس في مراحل سيرورة السفارة الإلهية والدعوة الربانية، بعد أنْ تمكن منهم العشا وغلبهم الهوى، وفي الآن نفسه تُقَوّم أودهم، وتصحح صبأهم، وترد عَلَى ختلهم، فابتدأت الآية بـ أم الَّتي تفيد الإضراب؛ لتعلن إنكار ما يجنحون إليه من دمار، وما يميلون اليه من مسار، جاعلة الذين آمنوا وانخرطوا في سلك التوحيد في أم المعالي وأربى المباني، ثم تنعطف إِلَى التفريق بين المسلكين المهمين في وجود الإنسان المُحيا والمُمات، فليس سواء حياة الذين آمنوا وموتهم، وحياة الاتجاه الآخر «إما انهما لا يتساويان في الممات فلأن الموت كما ينطق به البراهين الساطعة ليس انعداماً للشيء وبطلاناً للنفس الانسانية كما يحسبه المبطلون بل هو رجوع إِلَى الله سبحانه وانتقال من نشأة الدنيا إِلَى نشأة الآخرة الَّتي هي دار البقاء وعالم الخلود يعيش فيها المؤمن الصالح في سعادة ونعمة وغيره في شقاء وعذاب»(٥٧).
وإذا كان التمايز في الحياتين، بين الفريقين، صلتاً جلياً، ينظر فيه المبطلون إِلَى أصحاب القيم نظر الحسد والحنق؛ لانهم أرفع قيمة، وأجل منزلة في استقامتهم عَلَى الهدى والرشاد، ونزولهم حياض الحق ومرابع العدل، فان التمايز في الممات يبلغ أوجه ويشتد وجهه، فيه تكون الحسرة والندامة، وبه يتحقق الفوت، ويحلّ أرض برهوت.
يقول الطاهر: إن الله عز وجل «سيخالف بين حاليهم في الممات فيموت المشركون

عَلَى اليأس من رحمة الله إذ لا يوقنون بالبعث ويلاقون بعد الممات هول ما توعدهم الله به، ويموت المؤمنون رجاء رحمة الله والبشرى بما وُعدوا به ويلاقون بعد الممات ثواب الله ورضوانه»[٥٨].

**٤.الصفة المشبهة :**

حدد ابن الحاجب الصفة المشبهة بقوله: «ما اشتق من فعل لازم لمن قاله عَلَى معنى الثّبوت»[٥٩].

ولها حدان عند ابن مالك الأول في التسهيل يقول فيه: «هي الملاقية فعلاً لازماً ثابتاً معناها تحقيقاً أو تقديراً قابلة للملابسة والتجرد والتعريف والتنكير بلا شرط»[٦٠].

والثاني في شرح الكافية الشافية، وبيانه: «هي المصوغة من فعل لازم صالحة للإضافة إِلَى ما هو فاعل في المعنى»[٦١].

والمائز بينهما – كما يصرح – كائن في الصلاحية والضبط، الأول في ثبوت الدلالة والثاني في الاضافة إِلَى ما هو فاعل في المعنى[٦٢].

ودلالتها عَلَى الثبوت مما ليس فيه إجماع لدى النحويين، وكون الأعم الأغلب يذهب إِلَى أنها تدل عَلَى ذلك[٦٣]، لا يعني اطّراد المعنى، وإنْ تحمس لها أحد المصنفين، ورمى من عدل عنه بالدخل[٦٤].

فعالم كبير كالرضي يصرح بنفي دلالتها عَلَى الاستمرار؛ إذ يقول: «والذي أرى: ان الصفة المشبهة، كما انها ليست موضوعة للحدوث في زمان، ليست، أيضاً، موضوعة للاستمرار في جميع الأزمنة، لان الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة، ولا دليل فيها عليهما، فليس معنى «حَسَن» حُسن سواء كان في بعض الأزمنة أو في جميع الأزمنة، ولا دليل في اللفظ عَلَى أحد القيدين، فهو حقيقة في القدر المشترك بينهما، وهو الاتصاف بالحسن، لكن لما أطلق ذلك، ولم يكن بعض الأزمنة أولى من بعض، ولم يجز نفيه في جميع الأزمنة، لأنك حكمت بثبوته فلابدّ من وقوعه في زمان، كان الظاهر بثبوته في جميع الأزمنة إِلَى أنْ تقوم قرينة عَلَى تخصيصه ببعضها، كما تقول كان هذا حسناً فقبح أو: سيصير حسناً، أو: هو الآن حسن فقط، فظهوره

في الاستمرار ليس وضعياً؛ عَلَى ما ذكرنا، بل بدليل العقل، وظهوره في الاستمرار عقلاً، هو الَّذي غرّه، حتى قال: مشتق لمن قام به عَلَى معنى الثبوت»[٦٥].

وابن مالك جعل دلالتها عَلَى معنى ثابت غير لازمة لها، معللاً ذلك ببنائها من عَرَض وطرأ[٦٦]. والشيخ خالد أكد انفكاك الوصف عن موصوفة كحسن الوجه ونقي الثغر وطاهر العرض، وهي أوصاف مما توجد وتفقد[٦٧].

وقد أجاد الدّكتور السامرائي فيما عقده من مقارنات بين الصيغ يلتمس فيها تفاوت الصفات في دلالتها عَلَى اللزوم والانفكاك، فهي عنده عَلَى أقسام بعضها يفيد الثبوت والاستمرار كأبكم وأصمّ وقد تقترب من الثبوت في الدلالة ككريم وسمين وجواد، وقد تخلو من الثبوت كظمآن وريان وغضبان[٦٨].

ويمكن ان يقال: ان تقيد الوصف بالثبوت والزوال مرهون بطبيعة الموصوف والظروف والملابسات الَّتي ترافقه، وما يمكن ان يعتريه من تغيرّات وتبدلات في ظرف الوجود، فالابيض لا يمكن ان يتحد مع موضعه اتحاد ذاتياً، لا يعتريه الزوال. وهذا الأمر بديهي؛ لأن العوارض زائلة ومتبدلة، والجسم الأبيض يقبل التخلي والتحلي بالأسود. والأعمى في عالم الإمكان لايستحيل عليه الإبصار، إذا أُزيلت العوارض بالشفاء وغيره. والكريم قد يفقد ملكته، إذا زال عنه المؤهل، وغاب عنه الباعث. ولا غرو أنّ الَّذي لا يملك مقومات الكرم، لا تكون الصفة ذاتية له. نعم، إنّ كمال الذات من جميع الجهات يكشف عن كمال الصفة وعلوها من كل اللحظات، فان تعلقت الصفة بالموصوف عَلَى نحو الحال، فهي إِلَى الزوال والأفول. ومن كانت صفاته ملكات، صعب زوالها الا عَلَى نحو بعيد، كما أسلفنا في صفة الكرم.

أمّا من اتحدت صفاته بذاته، وظهرت ذاته بكمال صفاته، فلا يتصورن من الصفة الا وهي عين الذات. وكيف يمكن أنْ نتصور – مثلاً – ذات الرسول وهي عرية من الكمال، فاقدة الخصال؟!

إنَّ الأمانة ذاته، والرحمة ذاته، والتواضع ذاته، وهلم جرا•. وإذا كان هذا حال الرسول، فخالقه فوقه بالكمال بما لا يتناهى ولا يتعالى.

ومن وقف عَلَى سجل التاريخ ووقائع الأحداث، أدرك ملياً تبدل الصفات وانقلابها من علو إِلَى سفل، ومن دنو إِلَى عز وشموخ، فأبو جهل قد كان عزيزاً شريفاً في قومه –في حال الركود المعرفي والسبات الديني – ولكنه في عصر القيم غدا وضيعاً ذليلاً، ليس له من الصفات الا أرذلها ومن الخصال إلا أدونها.

وبالجملة أقول: ان الصفة تثبت، إذا لم يتسنّ لها الحال، وتُلبّ بها عوارض الدهر وصوارف التكوين.

قال تعالى:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ... وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ال عمران٢٦-٢٧﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ الانعام ٩٥، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، يونس ٣١، ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ الروم ١٩

الميت وصف ثابت بتجلببه كل ممكن ذات شعور وإرادة، وكونه ثابتاً مما يقتضيه الموضوع والمحل، وهو إن طبيعة الذات الَّتي تقبل الاتصاف به غير مختارة، ولا مريدة؛ لذا يكون حتمياً، يتخذ من موضوعه «الذات» محلاً ومقاماً، ما دامت قابعة في محل التبدل والتغير. وهذا من خصوصيات المحل الَّذي تتفاعل به الذات في سيرورتها الأرضية، ولا خلاف أنّ الذات نفسها، وعلى رأسها النفس العاقلة، لا ينالها الوصف بسبب، إنْ تبدل مقامها، وتعدّل مسارها في مقرّ لا عناء فيه ولا شقاء، وأرض لا يزول صاحبها، ولا يأفل قاطنها، وفي ذلك نصوص دينية كثيرة تؤكد ان الجنة هي الحيوان. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ العنكبوت ٦٤، وكون الإنسان في دار الرقيقة، ومهوى الابتلاء، رازه الله في الاختيار، بأن أودع فيه جوهرة الإدراك، وقوة الحَراك؛ لكي يتخذ إِلَى كماله المنشود وسيلة وذريعة توصله إِلَى سعادته وبهجته، وعنّ له إمارات البحث والتنقير، وزامل وجوده آيات الكشف

ودلائل التحقيق الَّتِي لا تغيب عن البليد، ولا حجة لإنكارها عند العنيد.

عودة عَلَى بدء

إنّ الآيات المتقدمة – بما تتضمنه من مفردات، وما تحمله من دلالات، ولاسيما في استدعاء ثنائية الحي والميت- من أكبر العلامات، واجلى المبيّنات المؤكدة رسوخ هذا العالم عَلَى ساحة التدبير ومحل التقدير، الَّذِي يصرف المصادفة والاعتباط. فيكون التزاوج في هذه الثنائية من عمل الكامل المطلق والكبير المتعال.

إذاً، الله هو الموجد للذات، والباعث للصفات، والجاعل للعلقة والارتباط فيما بينها. واخراج ذينك الوصفين – باشتمالهما عَلَى الذات – أحدهما من الآخر من الحجج الدافعة عَلَى جريان مظاهر التدبير من مألوف المحيط وبيئة التداول، الَّتِي يأنس بها الإنسان عَلَى تفاوت أفقه واختلاف مدركه.

والميت الَّذِي يخرجه الله من الحي، ومن ثم يخرج منه الحي، ليس هو الميت العرفي الَّذِي رسخ في منظومة الأفراد، ورسى في دلالته عَلَى الهمود والفناء، بل هو ذلك الميت الَّذِي لا يحيد عن فعل التقدير، ولا يزيغ عن التنظيم، يشترك مع موجودات عالم الإمكان في الكشف عن التوحيد الربوبي.

وله القابلية أنْ يُعالج من منظور الإرادة، ويتكيف بالمشيئة. فيغدو في مشيئة الله من حال إِلَى حال، ومن تشيءٍ إِلَى آخر، ليس له قرار إلا ما شاء الله.

وفي قطع التعلق ورفع الخصوص – في الخطاب – دليل عَلَى المبدأ والمنتهى الواقعين في دار الدنيا. وفيه دليل عيني عَلَى المعاد أيضاً. فمثلما كنتم في ظلام العدم، وأخرجتم إِلَى بصيرة النور، يخرج الله الموجودات في عالم آخر، قد أعدّه للحساب، وهيأه لنيل النصاب؛ ليبلغ العدل محله، وينكشف زيف المكابرين المعاندين.

قال تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ الزمر ٣٠-٣١

الخطاب في صدر الآية للرسول الأكرم«ﷺ»، إيذانا للدخول إِلَى محور الحديث وقطب الرحى، وهو بيان مآل الأمر وعاقبة المشركين المتكبرين من لزوم البعث

وحتمية الموت والقيام للحساب.

وخطاب الرَّسول «ﷺ» بأمر الموت، وإعلامه بوجوب وجوده لا يملأ خلجاته بالقلق الَّذي يبهظ نفسه، والاضطراب والخوف بقدر ما هو محرك لعجلة العمل ودافع لقافلة الوجود باتجاه ما يحقق البهجة والسعادة لدى أنصاره وأتباعه، فهو خطاب للرسول، وتنبيه للمسلمين، وإذا ما تخلصت الآية إِلَى المقطع الثاني، آض المناخ محشورا بسحاب من يحموم، وغدا الأفق مشحوناً بالوجل والرهبة؛ لأنه إنذار وقطع بالموت. وفي الموت سدور وحيرة وحسم للأمل الزائف.

ولا يراد من الخطاب التحقق الفعلي والتجلي الفوري، فالعزيمة الفعلية الَّتي توجب أن يكون لكل أجل كتاب، والسياق المبتغي تعزيز فكرة الموت وترسيخ أصولها لدى المعاندين مانعان من ذلك.

يقول الطاهر: «والمراد بالميت: الصائر إِلَى الموت فهو من استعمال الوصف فيمن سيتصف به في المستقبل تنبيهاً عَلَى تحقيق وقوعه مثل استعمال اسم الفاعل في المستقبل كقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾البقرة ٣٠»[٦٩].

وفي حمل الوصف عَلَى المستقبل مزية جليلة، إذ إنه يجعل الوصف في لحظة الخطاب وآن التَّحاور حاملاً مشاعر الحزن والهيبة، رافعاً راية الخسران والنقصان، قاعصاً لنشوة الفرح وعبير المرح. ومن ثم يكون الناكب عن الصراط، والمتجانف عن السبيل في صرع الجوى، ولذعة الشقّا.

**٥. أمـــوات :**

الكثرة المجتمعة للآحاد المنفردة يعطيها مفهوم الجمع بصورته المفهومية، ومصاديقها، في المنظومة اللغوية، تتخذ أشكالاً بنائية، وصوراً لفظية متعددة. وقد أفرد لها القدماء والمحدثون بحوثاً في ضمن مصنفاتهم ومدوناتهم، وإذا ما اتسعت العلوم، وفاضت ميادينها بالمعرفة، أخذ الاستقلال في التعاطي والعرض يأخذ حظهُ في مسائل العلوم، وينماز في الانفصال؛ لكونه يمثل جهة معرفية، تقدم ثراء ناجعاً لميادين التواصل العلمي، وتضفي عمقاً ثقافياً في منظومة التلقي الذهنية، ما جعل الكتّاب يتعاطون

معها عَلَى استقلال وانفراد. والنظر إِلَى الكثرة يفصح عن تراكمات مشتركة، ومقومات متماثلة، سواء أكانت في الجواهر أم الأعراض، تتشكل بنائياً بحسب مقتضيات النشأة وطبيعة الوجود، ويتوسل بها المنشيء في إعداد لبنات بنائية، يحشرها حقل معرفي واحد في تفعيل التواصل وإبراز الجانب الوظيفي المغيّا والمبتغى.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، البقرة ١٥٤، ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۞ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ال عمران ١٦٧-١٦٩

تؤسس الآيتان ببنيتيهما النصيتين أواصر مزدوجة وملاحم متسقة بسبب وثيق يعزز أحدهما الآخر، قوامها حظر المعرفة الذهنية والأخيلة الفكرية وإرسال الحقائق الواقعية الَّتِي لم تبعد شقتها عَلَى المؤمنين.

يبدأ الشق الأول بوضع أسيجة محورية وموانع حديدية عَلَى تخوم المعرفة الاعتقادية الَّتِي تنشأ من مرتكزات عرفية، وتستند إِلَى مرجعيات بيئيّة، اكتسبت بتفاعل الاجتماع الفطري، والتواصل البدائي، وعلقت في الأذهان من المشاهدة الحسية والمداومة النظرية، الَّتِي تفتقر إِلَى رؤية كونية معمقة وايديولوجية مُبصرة، تتحرك بموجبها الاعتقادات المكفوتة والحقائق المستورة، الَّتِي تتناغم في جلائها بصيرة العقل مع هداية الرسل. وهذا المعنى يؤكده الشق الآخر من الخطاب، في حركة تصحيحية لما قدمته النشاطات البشرية الضيقة في التصورات والمعرفة ازاء مفهوم الموت. فكان الإخبار بجملة اسمية معزّزة بالرد والاضراب للمعتقدات والميول المتقدمة: ان الموت يُلبِسُ الانسان ثوب العدم، ويَرِد به ساحة الفناء والاضمحلال.

وفي التعقيب بـ(ولكن لا تشعرون)، (وعند ربهم يرزقون) تأكيد لموضوعين الأول يمثل: السقف المعرفي والأطار الفكري الَّذِي يرتع منه المخاطبون، فهم لفرط توسلهم

بالمـأنوس، وتعلقهـم بالمحسـوس، لا يـدركون المرتبـة الوجوديـة الَّتِـي يفـرح بنيمهـا السعداء، ويلتذ بنعيمها الشهداء.

والثـاني: المقـام العنـدي الَّـذِي يبلغـه الأحيـاء، والـرزق السـرمدي الَّـذِي يحظـى بـه الشهداء.

ولعـل هـذه الهويـات المؤتلفـة والمقيـدة في التشـكيل البنـائي الصـرفي «الجمـع»، يعينّهـا المصداق، ويشخّصها في تحديد غير عديد، وقد قيل: إن جمع أفعـال للقلـة، والسـياق الداخلي والمقام الخطابي يؤيد ذلك.

والخطاب بلحاظ وظيفته التصحيحية، وغايته التنويرية لا يناغم جهة دون أخرى، ولا يلاطف شخصاً دون آخر؛ لأن بذر العقيدة الصالحة، وري الأرض الطالحة هو النسق المهيمن والسلطة المحدقة في جلّ المسالك الإلهية، وإنْ ظهر في السياق ما يشير إِلَى مُعيّن، فلا ريب أنّه أداة لتوطين سنن التصحيح والتقويم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۞وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا المرسلات ٢٥-٢٧﴾

المبنى اللفظي، وان كان عطاؤه اللغوي محدوداً في أُطر صرفية، استلهم دلالتها العلماء من تنقير تراث العرب، يبقى مجاله المعرفي غير واقف عَلَى هذه الأعتاب، ولا مقتصر عند هذه التخوم، فالمبدع له القدرة في استدعاء المبنى، وضمه إِلَى صياغات، وعقده بعناصر، تؤدي مناحي فكرية، ومسالك عقدية. ولا يخفى ما يقدمهُ هذا المبنى من دور في شحذ الثقافة الذهنية، وإيقاظ بصائرها، وإثارة بواعثها، لتكون منتجة علمياً وعملياً.

يقترن الوصفان المتقابلان باداة الربط «الواو»، ويتعلقان بوظيفة الأرض الإلهية؛ لتكون منّة سابغة ورحمة سابقة، أعدّها المدبر لعباده في ضمهم أحياءً وامواتاً. والاستفهام الداخل عَلَى النفي يفصح عن تقرير هذه العطية الَّتِي تستوجب الشكر والحمد.

ومن تمعن في سياق النص، وغاص في أغواره، ظهر له ما يعطيه تقرير النعم من

أمور:

- التوحيد الربوبي الَّذِي جعل الأرض مكيناً للأحياء عَلَى ظهرها، والأموات في جوفها.
- الذم والتوبيخ، لأنّ إبصار النعم يوجب الشكر، ويلزم الحمد، وهم لفرط تكذيبهم غفلوا عن جُلّها، وتعاموا عن نصوعها.
- إثبات البعث كما يقول الطاهر: إن «مصير الكل إِلَى الأرض وفي كل ذلك إبطال لإحالتهم وقوع البعث؛ لانهم زعموا استحالته فأبطلت دعواهم بإثبات إمكان البعث فانه إذا ثبت الإمكان بطلت الاستحالة»(٧٠).
- البعد الأمني والصحي. وفي ذلك يقول الشيرازي « فلو ان الأرض لم تكن مهيئة لدفن الأموات لسببت العفونة والأمراض الناتجة منها فاجعة لجميع الإحياء»(٧١).

والجمع في البناء لا ينبئ عن القلة ما دام المقام كاشفاً عن أمر فطري وقانون جبلي يُصار إليه عندما تفارق الروح البدن في موجودات عالم الإمكان الدنيوية.

ولا يفوت المتلقي الدَّور الَّذِي يلعبه الائتلاف الجديد المنعقد بين مفردة الأرض ومفردة «الأموات» الَّتِي ينصرف فيها الذهن إِلَى الجسم الجامد الخالي من الشعور والحركة، وما يفرزه من تسانخ في الوجود والطبيعة، وبمعنى: إنّ البدن هويته أرضية، والروح هويتها غيبية، أينما حلت، رافقها الإحساس والشعور والارادة، ولا يستثنى من الحقيقة المتقدمة حتى بدن الرسول. نعم، تبقى خصوصية لهذا البدن الَّذِي تعطر بأريج الروح القدسية المحمدية•.

قال تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة ٢٨

الآية مسوقة لتقرير البعث واثبات المعاد، وفيها ذم وتوبيخ للمشركين من الاستفهام الَّذِي ينكر عليهم الركون إِلَى معقل الكفر والعناد، والحال انهم مربوبون لقدرة عظيمة، ليس لها حد، ابتدأت خلقكم، ثم تصرفكم وتقلبكم في أطوار وجودية، وتختمون مسيرتكم إليه، في الرجوع، لا محالة.

والمبنى، عَلَى وضوحه، مفهوم، أوجد زحاماً معرفياً، واكتظاظاً فكرياً في القراءة التفسيرية، تكمن منطلقاتها في تحديد هوية الكينونة السابقة للوجود الَّتِي أضفى عليها الشارع المقدس صفة الموت، وهي -في جملتها- لا تخرج عن اطار الوجود وأفق العدم، وإنْ كانت بعض العبارات المشيرة إِلَى العدم يشوبها شيء من الغموض؛ لغياب الأدوات المنهجية المحددة.

فهل المراد قبل آن الخلق ووجوده، وهو المساوي عدم الشيئية أم أن التعبير فيه شيء من المسامحة والمجازية؟.

فهو يُفسر:

- بالعدم السَّابق قبل الخلق(٧٢).
- وبالوجود البدوي للأجزاء والعناصر(٧٣).
- وبالنطف• في حال قرارها في الأصلاب(٧٤)، وفُسر بصلب آدم خاصة(٧٥).
- وبالنطف في حال كونها في الأرحام(٧٦).
- وفي تحديد للعناصر الأولية بالتراب والنطف(٧٧).
- وبالموت المعهود في الدنيا(٧٨).
- وحُمل عَلَى خمول الذكر(٧٩).
- وأعطي أبعاداً إشارية – عند أهل الحقائق – كموت الشرك والجهل والاختلاف(٨٠)...
- وفسر كون آدم من طين قبل أنْ تدبَّ الحياة فيه(٨١).
- وهو للوجود الهبائي قبل خلق آدم(٨٢).

والذي يأتلف مع سياق النص المؤكد للمعاد، والمنسجم مع أفق المخاطبين هو كينونتهم العنصرية، ومرتبتهم الجمادية، الَّتِي ليس لها نعمة الحياة، ورحمة الابتعاث. والخطاب بالفعل الماضي «كان»، والاسناء إِلَى ضمير الجمع، يوجب لهم حظاً من الوجود، وحصة من الشيئية، وهذا عَلَى خلاف من ذهب إِلَى العدم، إذ إنّ الوجود صارف العدم.

والوجود الطبيعي العنصري هو المتناغم مع ميول القوم واعتقادهم، فالعظام والحطام والتراب والحَباب الَّتي يعتقدونها مآلاً لهم، ووطاء عليهم، يفيض عليها خالقكم الحياة، ويقطع سكونها بالحركة، ويعمر، بتدفق النور، أرجاءها.

وقد انتجت قراءة المفسرين بعداً بياناً رابياً عَلَى ما تقدم، أسهم في إثراء المعرفة، إذ اختلفوا في استعمال الموت «الوصف للذات»، فبين من يقول بمجازية الحمل، وثمة مَن يبقيه عَلَى الحقيقة. والمدار، في التحديد، تشخيص مصداق الموت الَّذي أفرزته نتاجاتهم الفكرية وممارساتهم القرائية. فمن كانت شأنيتهُ الاتصاف بالحياة، استعمل المبنى معه عَلَى الحقيقة(٨٣). وان كان عدماً سليماً من الحياة تقيد بالعنوان مجازاً، وقد استبعده أبو حيان(٨٤). وفي حالة الجمادية بين حاملٍ عَلَى الحقيقة، والأكثرون عَلَى المجاز(٨٥). والذي أراه من سطوع شيئّيتهم في الخطاب الحمل عَلَى الحقيقة؛ لأن فيهم قابلية الاستعداد وقوة الظهور، وقد استعمل القرآن الميت مع البلد والأرض مما ليس من شأنيتها الحياة الحيوانية. فكيف بالإنسان وتقلباته الابتدائية الَّتي ينتقل فيها من حال إلَى حال.

**٦. ميتـون :**

قال تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر ٣٠، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ المؤمنون ١٢- ١٥، ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، الصافات ٥٨-٥٩

إذا كان المبنى السابق يقبل الاتصاف والاستعمال في مورد الجمادات فضلاً عن العقلاء، فان هذا المبنى لا يستعمل في المنظومة القرآنية إلا مع الأعلام وأوصافهم، وله تفصيلات وشروط عند أهل الفن.

وقد ذكر السامرائي، في الدلالة، ان هذا الجمع يطلق عَلَى من لم يمت، واستشهد بالآيات المتقدمة(٨٦). ولكن ليس من وضع اللغة، ولا من أصلها صحة الإطلاق، فهو

لا يعدو أنْ يكون فهماً مستنداً إِلَى سياق النص وقرائنه اللفظية. ومن تأمل ملياً، سكنت نفسه، واستقرت عَلَى ذلك. فالآية الأولى تخاطب الرسول رداً عَلَى المشركين في بيان العاقبة والمآل. والآية الثانية تستعرض مراحل التدرج وأطوار الخلقة للإنسان، أي: تُعرِّفه بالمبدأ، وتذكِّره بعاقبة الوجود ومآل الحياة أيضاً. وفي الآية الأخيرة تقرير لنفي الموت واستبعاده عن المؤمنين المخلصين بعد نشأة الحياة وموتتها الدنيوية.

وإذا كان المبنى في الآية الأولى والثالثة خاصاً في مورد التخاطب، فان الآية الثانية استعملت لتقرير خلقه الإنسان من عناصره الطبيعية، ومرجعياته المادية، ذاكراً، بتفصيل، الجعل الإلهي، بعد الخلق الطيني، مراحله الحيوانية الرتيبة الَّتي تقبل الإتصاف بالحياة، خاتماً تقلباته بالإنشاء الفعلي الحيواني بإنزال النور إليه. وإذا ما انتهى من الخلق والإنشاء، عرفه المصير المحتوم والمآل المخروم الَّذي تتقهقر فيه العلقة، وتتراجع عُقَد الاتصال بين الوجود الخلقي والوجود الانشائي، فتغادر الروح إِلَى محلها، وينزل البدن معقله، وهو المعبر عنه، في الأية، بالوصف «ميتون» إشارة منه إِلَى أن هذا كائن عَلَى نحو القضية الحقيقية.

**٧. الموتى :**

لهذا الجمع دلالة لدى النحاة واللغويين، تتمثل بمعاني الهلاك والتألم والتوجع، وإنْ كان مطرداً في الوصف فعيل، إذا جاء بمعنى المفعول، فانه في فيعل ونيف من الصيغ محمول عليه، لما بينهما من تشاكل في الدلالة. وقد نقل سيبويه كلام الخليل في هذا الشأن ،إذ يقول: «وقال الخليل: انما قالوا: مرضى وهلكى وموتى وجربى وأشباه ذلك لأن ذلك أمر يُبتلون به، وادخلوا فيه وهم له كارهون وأصيبوا به، فلما كان المعنى معنى المفعول كسروه عَلَى هذا المعنى»(٨٧).

وفي بناء موتى معاني التوجع والألم ودلالات إيحائية كثيرة تشي بالنوازل والمحن والمصائب الجليلة والأرزاء العظيمة، الَّتي لا تخطر عَلَى قلب بشر من هول النقع وشدة الوقع. وفي حالة النزع والاحتضار مالا يخفى عَلَى أحد.

قال تعالى:﴿ ا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ.... ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾، الحج ٥-٦، ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۞ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ القيامة ٣٦-٤٠، ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾، الروم ٥٠، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت ٣٩، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الاعراف ٥٧، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾، الاحقاف ٣٣، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، البقرة ٧٢-٧٣،﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، يس ١٢﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾، الشورى ٩

المبنى في الآية الأولى والثانية، وإنْ حكى عن حتمية سيرورة الإنسان في حياته الأرضية وركوبه قافلة التبدل والتغير، وتقهقرت طبيعته المادية عن مزاملة الروح في عروجها إِلَى محلها الأسنى، إلا إنه سيق في مجال عقدي، اتخذ من دليل العناية واللطف سبيلاً لتشخيص المعاد، وسبباً لتمثيل البعث. فالموتى، بصفتهم الجمادية وهويتهم المادية، ليس لهم التخلف أمام قدرة الله وربوبيته العظمى، ويكفي تمثيلاً لذلك أن يد التدبير قد صاغت الإنسان وجهزته بأدواته، وأعدّته بآلاته من عنصر الطبيعة ومعدن المادة من دون أن يُكلّف الابتداء والمعالجة واللغوب، فهي أمام قدرى

الله طيّعه...، ولا ريب أنّ مَثَل الابتداء في الذرءِ مسانخ لحقيقة البعث والإعادة.
وعلاوة عَلَى تقرير النّشور، فان المبنى – في الآيتين – يمثل لبّ النَّص ومحوره الَّذي استدعى تشكيل المنظومة المعرفية، وتأسيس مفرداتها، فبـ«الموتى» ينكشف النقاب عن فاعلية التدبير، وقاهرية التقدير، الَّتي تترجم انحصار الإلوهية في ذلك الموجود العظيم، وتُؤتّ الافرازات الموهومة الَّتي تنثّها تجارب الإنسان وآفاقه المستندة إِلَى الإلفة والحس وضيق النظر وانزواء الأفق.
وإذا كان «الموتى» نقطة الانتهاء لمشروع الذَّات، والثغور الَّتي تتوقف عندها طموحاته، وتتقطع لديها آماله، فإنها بذرة لترسيخ النظم الإلهية، وتوثيق الحكومة الغيبية في مجاري الوجود وتدابيره، نائياً بذلك عن كل مصادفة، معززاً لهوية وجودية اخرى تغدق بالطموحات، وتفيض بالفاعلية، وبذلك يحقق استدعاء المبنى – بمحتواه القريب – بعداً ايحائياً متجانفاً مستمداً من منظومة تداولية، ترى في الموت معاني التفجع والتوجع، ويؤصل – بمعطياته الاستعمالية – بداية معرفية حصيفة، تشق مهيعها نحو الأعيان لتوطين الأذهان عَلَى رؤية شاملة نحو الكون والوجود، فيستحضر البناء دلالات البعث والنشور، ويلزم قلب المتلقي الإدراك البرهاني والإذعان الوجداني بفكرة المعاد الَّتي تنطوي عَلَى الاعتراف بالإلوهية والإقرار بالوحدانية.
ومما تقدم يوجد استثمار المبنى معاني هرمية تربو بشكل رتيب، لتشكيل صرح معرفي وطيد، وسلطة ثقافية، تستهجن التليد، وتستقبح العهيد.
وفي الآيات الثالثة، والرابعة والخامسة، يرتصف المبنى مع جملة من العناصر الطبيعية والشواخص المادية الَّتي ينظر إليها القروي والبدوي بعين الحس، ويتزلف إليها بماتة النفع والحاجة، الَّتي تنتج لنا فهماً ارتكازياً وعلماً جبلياً، لا ينفك عن فاعليته في الخارج، وتؤدي دور الوسيلة والسبب في تشكيل بنى معرفية ونظم ثقافية تطمر المنافذ، وتُحكِم الفجوات الَّتي أوجدها تكاسله عن التأمل، وقعوده عن التعلم، وتدرأ العقبات الَّتي أقام أسّها أُطر ثقافته، ومناخات بيئيّة.

ولا ريب أنّ القناعات لا تتشكل في ظل أجواء التقليد والانتماء القبلي المقيت إلاّ إذا كان التمثيل يتكيء عَلَى صياخيد منيعة، لا يجد عندها المتلقي سبيلاً للرفض والإنكار. والأرض البوار والمحل القفار مما ينتمي إِلَى منظومة الحس والإلفة. والوقوف عَلَى أرجائها، وإدامة النظر في قفارها، يبعث التصور والعلم الموجب للإدراك والشعور، ويثير كوامن النفس وخلجاتها. وإذا ما أرخت السماء أمطارها وأنزلت بركاتها، وأعطت الأرض أرزاقها وأثمارها، تبدل المحل وتجدد الأمل.

إنّ ما توجبه توارد الأحوال وتبدل الأشكال، وما تقدمه صور الحياة من أنس بعد اليبس واليأس، من حالة شعورية ووجدانية، لها الأثر الأكبر في تشكيل مفاهيم ذهنية وقضايا فكرية، يتقبلها الإنسان المتجلبب بشغار الوجدان لا العلم والبرهان، وتشتد هذه المفاهيم وترتفع، لتكون مقدمات نظرية مرجعها واقعه المألوف. وقد جعل الله عز وجل هذه المقدمات مفاتيح لتقرير حقيقة البعث والنشور، وترسيخ عقيدة المعاد. إذاً، فالمبنى، «موتى» الأداة البنائية لذلك المطلب.

وإذا ما انتقلنا إِلَى الآية السادسة، فان الجرم المشهود، وإنْ كان من وسائط البناء المعرفي في تشكيل خطاب الحِجاج، إلاّ إنّ زاوية النظر فيها تختلف، وجهة المعالجة منظور إليها من سني الخلق والإيجاد، وما تحمله من معاني القوة والعظمة.

وبالمقايسة بين فعلين من افعال التدبير: خلق «السموات والأرض»، وإحياء «الموتى» يتضح: أنّ الأول لا يزايل الثاني. بل إنه أشدّ كاشفية لمظاهر القدرة والتدبير، لأنّه إيجاد من عدم، والإعادة بعث بعد الإيجاد، ما يعني ان فاعلية الأول في البرهان يفضي إِلَى نتيجة قطعية في الثاني؛ إذ إنّ تجليات العظمة أعلى وأربى.

وفي الآية السابعة نجد حديثاً عن بني إسرائيل في قتل نفس وإخفاء الفعل، فأمرهم الله عَلَى لسان سفيره أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها، لاسترجاع الحياة، وإفشاء الأمر وإظهار الحقيقة.

وفي مضمون الحديث ما ينبيء عن أبعاد عقدية، أراد الله إيصالها إِلَى بني إسرائيل من عملية الإحياء المتقدمة، تتمثل بتعميم الظاهرة بعد ملاحظة أحد مصاديقها. أي

إنّ إحياء الميت، وإنْ استند – في الظاهر – إِلَى أحداث مادية، تظهرها الملامسة والتقاء الأعضاء، يكشف عن إمكان الرجوع بعد الموت، والبعث عقب الإماتة. ولكن في تلاقي الأعضاء الموجبة للإحياء حكمة بالغة لبني إسرائيل، وسر غيبي، يجعلهم –لفرط إعراضهم – من المباشرين والمزاولين في أمر الإحياء، لعلّ التمثيل – عَلَى شدة ظهوره – يُقرِّبهم من الحق، ويكفهم عن الإعراض.

ومن بديع الصنع ولطيف الاختيار تنويع بناء الدليل البرهاني في الخطاب والمحاججة، ليأخذ سبيله إِلَى التلقي والقبول، فضلاً عما يحمله المقام من بواعث، ويشي به من ملابسات، ولا ريب أنّ استدعاء الدليل العيني في الإعادة، واستهداء الأدوات المادية في الإقناع، يكشف عن علو كعب القوم في الإنكار، وضحالة تصوراتهم وأفقهم الذهني المتقهقر في ربوع الحسيات.

والذي أفهمه من العلاقة بين الممثل والممثل له، هو البعد المعرفي الَّذِي يؤسس لمنظومة المتلقي في تعاطيه مع النصوص الغيبية، فهو إذ يعرض لشرخ التصرف وبلادة التفكير، يعالج ببناء حصين ما توقف عنده حيز التفكير، بتوازي معرفي، ينال به القوم حصتهم الوافية من التقريب، وهذا البناء والتأسيس ينفع المتلقي في استحضار المعارف المتكئة عَلَى تلك التجارب ومعالجاتها الإلهية. فتثري ذاكرته بالنشاطات الإنسانية، وتشحذ تصوراته بالقيم الفكرية، الَّتِي من شأنها أن تزيل عن مَبَصره عواهن الأخيلة وعقبات المعرفة.

وعندما نقف عَلَى مضامين الآية الثامنة، فاننا نجد إخباراً صريحاً وبليغاً، يشوبه تأكيد وثيق عَلَى أنّ إحياء الموتى منحصر بجهة واحدة، وقدرة فاردة، ليس إِلَى غيرها سبيل في الإنجاز والمعالجة الا من باب الإذن والمشيئة. والدليل في الآية يتكيء، في بنائه، عَلَى الجزم والتعزيز في الإبلاغ، ولعل المقام فيها يرتفع عما سواها؛ إذ لم يتخذ ممثلاً في الإقناع والاعتناق.

وفي الآية التَّاسعة حديث عن الولاية الإلهية في الكون والوجود، وقد استدعى البناء الحديث عن إحياء الموتى؛ لأنها من آثار الولاية والتدبير. وإيثار إحياء الموتى دون

غيرها من مظاهرة السلطة – في المقام –، لأنّ فيها إظهاراً للقدرة، وإجلاء للحاكمية المطلقة الَّتي تسقط معها رايات الشركة، وتهوي أعلام المثنين والمثلثين، والمتربعين عَلَى بساط الوهم والزيف. وهذا ما أكدته بداية الآية؛ إذ إنّ الولاية الحقة، فاعليتها لا تعدّ، وسلطتها لا تُحدّ، تصرفها في الاشياء مستمد من قيام الاشياء بها، وغيرها أسماء فارغة صنعتها أذهان مخيلة محبوسة، وافئدة نصيبها من المعرفة لا يتجاوز تخوم الأسر والتقليد.

قال تعالى :﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شيءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ الانعام ١١١

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ للَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الرعد ٣١

المبنى – في الآيتين – يحمل السمة الدلالية نفسها إثر ائتلافه بمفردة التكليم، ليعطي المركب فكرة الاستحالة والاستبعاد. وفي اقترانه بأداة الامتناع «لو» أثر واضح في بناء الأسلوب عَلَى الشرط والافتراض.

ففي الآية الأولى يقترن الأسلوب الشرطي الامتناعي والافتراض المُحالي الَّذي يتذرع به المشركون بالإيمان والإذعان؛ ليعبر عن علو ما بلغهُ القوم من صدأ القلب وسفاهة الأحلام، الَّتي تبتغي لإيمانها سبلاً لا دخل لها في إثبات الرسالة والرسول والمرسل.

يقول الطباطبائي في الآية: «ولو أننا أجبناهم في مسائلتهم واتيناهم أعاجيب الآيات فنزلت إليهم الملائكة فعاينوها، وأحيينا لهم الموتى فواجهوهم وكلموهم واخبروهم بصدق ما يدعون إليه...ما كانوا ليؤمنوا ولم يؤثر شيء من ذلك في استجابتهم للإيمان إلا أن يشاء الله»(٨٨).

وفي الآية الثانية انعقد الفرض والامتناع بالقرآن للدلالة عَلَى فرط ما يبلغه القرآن من

دور في الكشف والبيان وإيضاح المقصد والبرهان مع القوم المكذبين المعاندين. فضلاً عن فاعليته في الهداية والإرشاد وصنع الأمثلة النموذجية في القيم والأخلاق. ولكن لم يأن للذين كفروا أن تلين قلوبهم لذكره، وتداوى جروحهم بطبه؛ لأنهم رضوا بالضلالة من الإيمان.

يقول الطاهر: «ويفيد ذلك معنى تعريضياً بالنِّداء عليهم بنهاية ضلالتهم، إذ لم يهتدوا بهدي القرآن ودلائله والحال لو ان قرآناً أمر الجبال ان تسير والأرضان تتقطع والموتى ان تتكلم لكان هذا القرآن بالغاً ذلك ولكن ذلك ليس من شأن الكتب» (٨٩).

ان دور المبنى في تشكيل الخبر يكمن في عرض المحالات - الَّتِي ينظر إليها من زاوية ضيقة لاقحام المخاطب في الحجاج – بصورة إمكانية وفرض واقعي؛ طلباً للآثار المترتبة عَلَى الاحتمال الَّذِي يقدمه المشركون في استنصار منظومتهم الفكرية، وأنشطتهم الثقافية الَّتِي لا ترضى بغير الركون إِلَى الإلفة والمعاينة، ورفض أيّ مظهر للقدرة الإلهية والتدبير الربوبي.

والاقتراحات المقدّمة يتخللها مضامين دلالية تكشف عن:

- الأبعاد المادية المهيمنة عَلَى سجيتهم الإدراكية ما جعلهم يوقنون: أنّ إحياء الموتى من المحالات.
- الجوانب العقدية الَّتِي تؤسس عليها عبادتهم الزائفة، فالرب الَّذِي لا ينتج مناخات معرفية لدى عباده، تعرفهم بسياساته وتدبيراته في مظاهر الكون – الَّتِي منها قدرته عَلَى إحياء الموتى – الأجدر به أنْ يزرى به، ويعفى أثره.
- المنطلقات الذميمة والبواعث المقيتة الَّتِي غرست في أفئدتهم حب التملك والسيادة ورفض الامتثال والطاعة، ما جعلهم يتناوشون الحجج، ويتوسلون بالأسباب، ويتذرعون بالسبل الَّتِي تصرفهم عن الخضوع والتسليم في المعتقد إِلَى رسول الغيب.

**هوامش البحث** :

(١) ينظر: الكشاف ٧٥/٤، وتفسير البيضاوي ٥٣/٥، وغرائب القرآن ٢٥/٦، وكنز الدقائق ٣٦٠/١١، وروح البيان ٢٢٠/٨، والتفسير المظهري ١٩٦/٦، وروح المعاني ٣٣/٢٤، وتفسير المراغي ٥١/٢٤.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنّة ١٠/٩، والتبيان ٤٩/٩، وتفسير السمعاني ٥١١/٣، ومجمع البيان ٤٧٣/٨، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦/١٨، وتفسير البيضاوي ٥٣/٥، وتفسير ابن كثير ١٥٧/٧، وتفسير الثعالبي ١٠٧/٥، واللباب ٢٠/١٧، ونظم الدرر ٤٩٠/٦، وتفسير أبي السعود ٢٦٩/٧،وكنز الدقائق ٣٦٠/١١، وروح البيان ٢٢٠/٨، والتفسير المظهري ١٩٦/٦، والبحر المديد ٢٩٣/٦، وروح المعاني ٣٣/٢٤، ومن هدي القرآن ٢١٤/٨، ، والأمثل ١٥٩/١٥،.

(٣) ينظر: الميزان ٣١٤/١٧، والتحقيق في كلمات القرآن ٢١٨/١١، والأمثل ١٥٨/١٥.

(٤) ينظر: من هدي القرآن ٢١٤/٨.

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة ١٠/٩، وتفسير السمعاني ٥١١/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/١٨، وتفسير الثعالبي ١٠٦/٥،واللباب ٢٠/١٧، والتفسير المظهري ١٩٦/٦، والبحر المديد ٢٩٣/٦.

(٦) ينظر: أضواء البيان ٣٧٣/٤، والتحرير والتنوير ١٥٨/٢٤، والتفسير الكاشف ٤٤٢/٦.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦/١٨، وتفسير ابن كثير ١٥٧/٧، وينظر: تفسير السمعاني ٥١١/٣.

(٨) ينظر: روح البيان ٢٢١/٨.

•قد أعرضنا عن سرد السجال الفكري بين المفسرين، كي لا يخرج البحث عن مساره.

(٩) الميزان ١٤/ ٢٠-٢١.

(١٠) التَّحرِيرُ والتَّنوير ١٦/ ٣٥.

(١١) ينظر: الميزان ١٤/ ٤٧.

(١٢) التفسير الكبير ٤٥٦/٩

(١٣) ينظر: تأويلات أهل السنة ٨/ ٦٨٦-٦٨٧، والتبيان ٩/ ٢٧٠، وتفسير السمعاني ٣/ ٤٩٦-٤٩٧، والكشاف ٤/ ٥٥، ومجمع البيان ٨/ ٤٤٦، والجامع لأحكام القران ١٨/ ٢٨٤، وتفسير البضياوي ٥/ ٤٤، وغرائب القران ٦/ ٧، وتفسير ابن كثير ١٢٧/٧، واللباب ١٦/ ٥١٩-٥٢٠، وكنز الرقائق ١١/ ٢٩٨، والبحر المديد ٦/ ٢٦٥، وروح المعاني ٤٤٢/٢٣-٤٤٣، وروح البيان ٨/ ١٥٤-١٥٦، وتفسير المراغي ٢٤/ ١٢، والميزان ١٧/ ٢٦٩-٢٧٠، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٩٩-١٠٠، والتفسير الكاشف ٤١٩/٦، ومن وحي القرآن ١٩/ ٣٤٠-٣٤١.

(١٤) التَّحرِيرُ والتنوير ٨٠/١٩

(١٥) ينظر: التَّحرِيرُ والتنوير ٢/ ٤٥٧، وقريب منه التفسير المظهري ١/ ٣٣٤.

(١٦) ينظر: السابق نفسه ٢/ ٤٥٧.

(١٧) ينظر: السابق نفسه ٢/ ٤٥٧.

(١٨) ينظر: الميزان ٢/ ٢٨٣، ومواهب الرَّحْمَن ٤/ ١١٤، والامثل ٢/ ١٣٩-١٤٠ ويفهم الرأي المتقدم من كلام بعض المفسرين. ينظر: التفسير الكبير ٢/ ٤٩٦-٤٩٧، وتفسير البيضاوي ١/ ١٤٩، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٣٧-٢٣٨، وروح المعاني ٣/ ٣٤٩.

(١٩) ينظر: الكشاف ٢٦٢/١.

(٢٠) ينظر: تفسير المنار ٢/ ٣٨٢-٢٨٤، وتفسير المراغي ٢/ ٢٠٨، والتفسير الكاشف ١/ ٣٧٣.

(٢١) ينظر: التبيان ٢/ ٢٨٢، ومجمع البيان ١٧١/٢-١٧٢.

(٢٢) مَوَاهِب الرَّحْمَن ٤/ ١١٧.

(٢٣) ينظر: الكشاف ١/ ٣٥٧، ومجمع البيان ٤٥٢/٢، والتفسير الكبير ٣/ ٣٤٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٥، وغرائب الفرقان ٢/ ٢٤٤، والبحر المحيط ٣/ ٣٢١، واللباب ٥/ ٤٩٩، ونظم الدرر ٢/ ١٤٢، وتفسير أبي السعود ٢/ ٧٦-٧٧، وكنز الدقائق ٣/ ٢٠٤، وروح البيان ٢/ ١٠٦، والتفسير المظهري ١/ ٥٣٨، والبحر المديد ٣٦٤/١، وتفسير المراغي

٤٧/٤، والتحرير والتنوير ٣/ ٢٠٣، والميزان ٣/ ٤٤٢، ومواهب الرَّحْمَن ٦/ ٢٧٥.

(٢٤) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٢١، وينظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٨٠، والتفسير المظهري ١/ ٥٣٨.

(٢٥) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٢١، واللباب ٥/ ٤٩٩.

(٢٦) ينظر: تفسير الثعالبي ٢/ ٩٨.

(٢٧) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٢١.

(٢٨) ينظر: تأويلات أهل السنة ٢/ ٤٦٥.

(٢٩) التَّحرِيرُ والتنوير ٣/ ٢٣٥.

(٣٠) السَّابق نفسه: ٣/ ٢٣٦.

(٣١) ينظر: الميزان ٣٢/٤.

(٣٢) التَّحرِيرُ والتنوير ٦/ ٢٢٣، وينظر: تفسير المنار ٧/ ٥٤٠-٥٤١/ والميزان ٢٩٤/٦، ومواهب الرَّحْمَن ١٤/ ١٩٨-١٩٩، والأمثل ٤/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٣٣) ينظر: من وحي القرآن ٩/ ٢٢٧.

(٣٤) ينظر: التَّحرِيرُ والتنوير ٦/ ٢٢٣.

(٣٥) ينظر: التفسير الكبير ١٠/ ٥٧٩، وتفسير ابن عرفة ٤/ ٢٥٧، واللباب ١٩/ ٢٢٤، وتفسير أبي السعود ٩/ ٢، وحاشية الشهاب ٩/ ٢١٥، وروح البيان ١٠/ ٨٦، والبحر المديد ٨/ ٩٢، والتفسير المظهري ٧/ ١٨٢، وروح المعاني ٢٧/ ٢٨٤.

(٣٦) ينظر: حاشية الشهاب ٩/ ٢١٥، وروح المعاني ٢٧/ ٢٨٤، والتحرير والتنوير ٢٩/ ١٢.

(٣٧) ينظر: روح المعاني ٢٧/ ٢٨٤.

(٣٨) ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٢٢٨، وتفسير ابن عرفة ٤/ ٢٥٧، وتفسير أبي السعود ٩/ ٢، وروح البيان ١٠/ ٨٧، وكنز الدقائق ١٣/ ٢٨٦، والتفسير المظهري ٧/ ١٨٣، وروح المعاني ٢٨٤/٢٧، وتفسير المراغي ٢٩/ ٥، ومن وحي القرآن ٢٣/ ١٣.

(٣٩) ينظر: روح المعاني ٢٧/ ٢٨٤، وينظر: حاشية الشهاب ٩/ ٢١٥.

(٤٠) ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٢٢٨، والبحر المحيط ١٠/ ٢٢٠، وتفسير ابي السعود ٩/ ٢، وكنز الدقائق ١٣/ ٣٨٦، والبحر المديد ٨/ ٩٢، والتفسير المظهري ٧/ ١٨٣.

(٤١) ينظر: روح المعاني ٢٧/ ٢٨٤، وينظر حاشية الشهاب ٩/ ٢١٥.

(٤٢) ينظر: روح البيان ١٠/٨٨.

(٤٣) ينظر: الأمثل ١٨/ ٣٤٩.

(٤٤) ينظر: تأويلات أهل السنة ١٠/ ١٠٣، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ١١١.

(٤٥) ينظر: الكافي ٥/ ٦٣٨- ٦٣٩، وتفسير نور الثقلين ٧/ ٤٣٢.

(٤٦) ينظر: فتح الباري ١١/ ٥٠٥، والكافي ١٥/ ٣٥٩، والوافي ٢٧/ ٣٠٥.

(٤٧) ينظر: روح البيان ١٠/ ٨٦-٨٧.

• السياق في الآيتين يشي بمطالب عقدية كثيرة، تسع لمتبنّي الاتجاهات بين الفرق الإسلامية، ولاسيما فيما يخص الرؤية والرجعة. وقد نأينا عنها خشية انْ ينزلق البحث في سجال كلامي أو فلسفي.

(٤٨) ينظر: التَّحرِيرُ والتنوير ١/ ٤٩٢.

(٤٩) ينظر: مجمع البيان ٣/ ٢٧٥، والتفسير الكبير ٤/ ٢٦٣، والجامع لاحكام القرآن ٧/ ٢١٣-٢١٥، وتفسير أبي السعود ٢/ ٢٥٢، والميزان ٥/ ١٣٦، والتحرير والتنوير ٤/ ٣٠٩، والأمثل ٣/ ٣٤٧.

(٥٠) مَوَاهِب الرَّحْمَن ١/ ١٤٣.

(٥١) التَّحرِيرُ والتنوير ٢/ ٨٢، وينظر: مَوَاهِب الرَّحْمَن ٢/ ٢٩٤.

(٥٢) الكتاب ١/ ٢٣٣.

(٥٣) ينظر: المقتضب ١/ ١٠٨ و٢/ ١١٩.

(٥٤) ينظر: الأصول ٣/ ١٤١-١٤٢.

(٥٥) معاني الأبنية في العربية ٣٤-٣٥، وينظر: دلالة اللواصق التصريفية١٩٣-١٩٤.

(٥٦) ينظر: الواضح في علم الصرف ١٦٥.

• يذهب الطاهر في أحد الوجهين إِلَى أنه اسم زمان. ولكن وجهة الأول اقرب. أنظر: التَّحرِيرُ والتنوير ٢٥/ ٣٧٢.

(٥٧) الميزان ١٨/ ١٧٤.

(٥٨) التَّحرِيرُ والتنوير ٢٥/ ٣٧٠.

(٥٩) شرح الرضي عَلَى الكافية ٣/ ٤٣١.

(٦٠) شرح التسهيل ٣/ ٨٩.

(٦١) شرح الكافية الشافية ٤/٢ ١٠٥.

(٦٢) شرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٥٥

(٦٣) ينظر: شرح المفصّل ٣/ ١٢٤-١٢٥، وشرح الرضي عَلَى الكافية ٣/ ٤٣١، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٤٨، وأوضح المسالك ٢/ ٢٦٧.

(٦٤) ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ٤/ ٣٩٩.

(٦٥) شرح الرضي عَلَى الكافية ٣/ ٤٣٢، وينظر: حاشية الخضري ٢/ ٨٣.

(٦٦) ينظر: شرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٥٥.

(٦٧) ينظر: شرح التصريح ٢/ ٤٥.

(٦٨) ينظر: معاني الأبنية ٧٦.

•نقول ذلك عَلَى وجه التقريب لشدة ظهور الذات بتلك النعوت، الَّتِي لا يتُصور غيابها عن الذات طرفة عين.

(٦٩) التَّحرِيرُ والتنوير ٢٤/ ٨٣.

(٧٠) التَّحرِيرُ والتنوير ٢٩/ ٤٠٠.

(٧١) الأمثل ١٩/ ٢١٤.

• ثمة أسرار جعلها الله تكوينا تخص أبدان الانبياء والشهداء والأوصياء وغيرهم من الكمل، لم نتعرض لها، لان لكل مسلك رائديه.

(٧٢) ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، ومجمع البيان ١/ ١٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٧٤، والبحر المحيط ١/ ٢١٠، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٩، وتفسير الثعالبي ١/ ٢٠٣، وروح المعاني ٢/ ٧٦، والتفسير الكاشف ١/ ٧٦، ومن وحي القرآن ١/ ٢٠٤.

(٧٣) ينظر: تفسير البيضاوي ١/ ٦٥، وتفسير ابي السعود ١/ ٧٧، وكنز الدقائق ١/ ٢٩٧، وروح البيان ١/ ١٢٤، وتفسير المراغي ١/ ٢٩٧، وتفسير المنار ١/ ٢١٧، ومن هدي القرآن ١/ ١٦٩.

• بعض المصنفين أشار إِلَى النطف عَلَى نحو الأطلاق. ينظر: معاني القرآن ١/ ٢٥، وتأويلات أهل السنة ١/ ٤٠٩، والتبيان ١/ ١٨٩، واللباب ١/ ٤٨٥.

(٧٤) ينظر: تفسير السمعاني ١/ ٤٠، والكشاف ١/ ١١٥، ومجمع البيان ١/ ١٣٨، وغرائب القرآن ١/ ٢٠٩، والبحر المحيط ١/ ٢١٠، واللباب ١/ ٤٨٤.

(٧٥) ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٤/١.
(٧٦) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢١٠، والبحر المديد ١/ ٧٠.
(٧٧) ينظر: التفسير الكبير ٣٧٧/١، ونظم الدرر ١/ ٨٠.
(٧٨) ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، والبحر المحيط ٢١٠/١.
(٧٩) ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، ومجمع البيان ١/ ١٣٧، والجامع لأحكام القران ١/ ٣٧٦، وغرائب القرآن ١/ ٢٠٩، والبحر المحيط ١/ ٢١١، واللباب ٤٨٤/١، ومواهب الرَّحْمَن ١/ ١٩٩.
(٨٠) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢١١.
(٨١) ينظر: السابق نفسه: ١/ ٢١١.
(٨٢) ينظر: اللباب ١/ ٤٨٤.
(٨٣) ينظر: روح المعاني ٢/ ٧٦، وحاشية القونوي ٣/ ٦٩.
(٨٤) ينظر: البحر المحيط ٢١٢/١.
(٨٥) ينظر: التفسير الكبير ٣٧٧/١، وقريب منه ينظر: الكشاف ١/ ١١٦، ونظم الدرر ١/ ٨٠، وحاشية القونوي ٣/ ٦٩.
(٨٦) ينظر: معاني الأبنية ١٣٢.
(٨٧) الكتاب ٣/ ٦٤٨، وينظر: معاني الأبنية ١٦٠-١٦٣.
(٨٨) الميزان ٧/ ٣٣١، وينظر: مَوَاهِب الرَّحْمَن ١٤/ ٢٩٥-٢٩٦.
(٨٩) التَّحرِيرُ والتنوير
٨٩. ينظر: الكشاف ٧٥/٤، وتفسير البيضاوي ٥٣/٥، وغرائب القرآن ٢٥/٦، وكنز الدقائق ٣٦٠/١١، وروح البيان ٢٢٠/٨، والتفسير المظهري ١٩٦/٦، وروح المعاني ٣٣/٢٤، وتفسير المراغي ٥١/٢٤.
٨٩. ينظر: تأويلات أهل السنّة ١٠/٩، والتبيان ٤٩/٩، وتفسير السمعاني ٥١١/٣، ومجمع البيان ٤٧٣/٨، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦/١٨، وتفسير البيضاوي ٥٣/٥، وتفسير ابن كثير ١٥٧/٧، وتفسير الثعالبي ١٠٧/٥، واللباب ٢٠/١٧، ونظم الدرر ٤٩٠/٦، وتفسير أبي السعود ٢٦٩/٧،وكنز الدقائق ٣٦٠/١١، وروح البيان ٢٢٠/٨، والتفسير المظهري ١٩٦/٦، والبحر المديد ٢٩٣/٦، وروح المعاني ٣٣/٢٤، ومن هدي القرآن ٢١٤/٨، ،

والأمثل ١٥٩/١٥،.

٨٩. ينظر: الميزان ٣١٤/١٧، والتحقيق في كلمات القرآن ٢١٨/١١، والأمثل ١٥٨/١٥.

٨٩. ينظر: من هدي القرآن ٢١٤/٨.

٨٩. ينظر: تأويلات أهل السنة ١٠/٩، وتفسير السمعاني ٥١١/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/١٨، وتفسير الثعالبي ١٠٦/٥،واللباب ٢٠/١٧، والتفسير المظهري ١٩٦/٦، والبحر المديد ٢٩٣/٦.

٨٩. ينظر: أضواء البيان ٣٧٣/٤، والتحرير والتنوير ١٥٨/٢٤، والتفسير الكاشف ٤٤٢/٦.

٨٩. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦/١٨، وتفسير ابن كثير ١٥٧/٧، وينظر: تفسير السمعاني ٥١١/٣.

٨٩. ينظر: روح البيان ٢٢١/٨.

•قد أعرضنا عن سرد السجال الفكري بين المفسرين، كي لا يخرج البحث عن مساره.

٨٩. الميزان ١٤/ ٢٠-٢١.

٨٩. التَّحرِيرُ والتَّنوير ١٦/ ٣٥.

٨٩. ينظر: الميزان ١٤/ ٤٧.

٨٩. التفسير الكبير ٤٥٦/٩

٨٩. ينظر: تأويلات أهل السنة ٨/ ٦٨٦-٦٨٧، والتبيان ٩/ ٢٧٠، وتفسير السمعاني ٣/ ٤٩٦-٤٩٧، والكشاف ٤/ ٥٥، ومجمع البيان ٨/ ٤٤٦، والجامع لأحكام القران ١٨/ ٢٨٤، وتفسير البضياوي ٥/ ٤٤، وغرائب القران ٦/ ٧، وتفسير ابن كثير ١٢٧/٧، واللباب ١٦/ ٥١٩-٥٢٠، وكنز الرقائق ١١/ ٢٩٨، والبحر المديد ٦/ ٢٦٥، وروح المعاني ٤٤٢/٢٣-٤٤٣، وروح البيان ٨/ ١٥٤-١٥٦، وتفسير المراغي ٢٤/ ١٢، والميزان ١٧/ ٢٦٩-٢٧٠، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٩٩-١٠٠، والتفسير الكاشف ٤١٩/٦، ومن وحي القرآن ١٩/ ٣٤٠-٣٤١.

٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٨٠/١٩

٨٩. ينظر: التَّحرِيرُ والتنوير ٢/ ٤٥٧، وقريب منه التفسير المظهري ١/ ٣٣٤.

٨٩. ينظر: السابق نفسه ٢/ ٤٥٧.

٨٩. ينظر: السابق نفسه ٢/ ٤٥٧.

٨٩. ينظر: الميزان ٢/ ٢٨٣، ومواهب الرَّحْمَن ٤/ ١١٤، والأمثل ٢/ ١٣٩-١٤٠ ويفهم الرأي المتقدم من كلام بعض المفسرين. ينظر: التفسير الكبير ٢/ ٤٩٦-٤٩٧، وتفسير البيضاوي ١/ ١٤٩، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٣٧-٢٣٨، وروح المعاني ٣/ ٣٤٩.

٨٩. ينظر: الكشاف ٢٦٢/١.

٨٩. ينظر: تفسير المنار ٢/ ٣٨٢-٢٨٤، وتفسير المراغي ٢/ ٢٠٨، والتفسير الكاشف ١/ ٣٧٣.

٨٩. ينظر: التبيان ٢/ ٢٨٢، ومجمع البيان ١٧١/٢-١٧٢.

٨٩. مَوَاهِب الرَّحْمَن ٤/ ١١٧.

٨٩. ينظر: الكشاف ١/ ٣٥٧، ومجمع البيان ٤٥٢/٢، والتفسير الكبير ٣/ ٣٤٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٥، وغرائب الفرقان ٢/ ٢٤٤، والبحر المحيط ٣/ ٣٢١، واللباب ٥/ ٤٩٩، ونظم الدرر ٢/ ١٤٢، وتفسير أبي السعود ٢/ ٧٦-٧٧، وكنز الدقائق ٣/ ٢٠٤، وروح البيان ٢/ ١٠٦، والتفسير المظهري ١/ ٥٣٨، والبحر المديد ٣٦٤/١، وتفسير المراغي ٤٧/٤، والتحرير والتنوير ٣/ ٢٠٣، والميزان ٣/ ٤٤٢، ومواهب الرَّحْمَن ٦/ ٢٧٥.

٨٩. ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٢١، وينظر الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٨٠، والتفسير المظهري ١/ ٥٣٨.

٨٩. ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٢١، واللباب ٥/ ٤٩٩.

٨٩. ينظر: تفسير الثعالبي ٢/ ٩٨.

٨٩. ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٢١.

٨٩. ينظر: تأويلات أهل السنة ٢/ ٤٦٥.

٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٣/ ٢٣٥.

٨٩. السَّابق نفسه: ٣/ ٢٣٦.

٨٩. ينظر: الميزان ٣٢/٤.

٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٦/ ٢٢٣، وينظر: تفسير المنار ٧/ ٥٤٠-٥٤١/ والميزان ٢٩٤/٦، ومواهب الرَّحْمَن ١٤/ ١٩٨-١٩٩، والامثل ٤/ ٢٦٤-٢٦٥.

٨٩. ينظر: من وحي القرآن ٩/ ٢٢٧.

٨٩. ينظر: التَّحرِيرُ والتنوير ٦/ ٢٢٣.

٨٩. ينظر: التفسير الكبير ١٠/ ٥٧٩، وتفسير ابن عرفة ٤/ ٢٥٧، واللباب ١٩/ ٢٢٤، وتفسير ابي السعود ٩/ ٢، وحاشية الشهاب ٩/ ٢١٥، وروح البيان ١٠/ ٨٦، والبحر المديد ٨/ ٩٢، والتفسير المظهري ٧/ ١٨٢، وروح المعاني ٢٧/ ٢٨٤.

٨٩. ينظر: حاشية الشهاب ٩/ ٢١٥، وروح المعاني ٢٧/ ٢٨٤، والتحرير والتنوير ٢٩/ ١٢.

٨٩. ينظر: روح المعاني ٢٧/ ٢٨٤.

٨٩. ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٢٢٨، وتفسير ابن عرفة ٤/ ٢٥٧، وتفسير أبي السعود ٩/ ٢، وروح البيان ١٠/ ٨٧، وكنز الدقائق ١٣/ ٢٨٦، والتفسير المظهري ٧/ ١٨٣، وروح المعاني ٢٨٤/٢٧، وتفسير المراغي ٢٩/ ٥، ومن وحي القرآن ٢٣/ ١٣.

٨٩. ينظر: روح المعاني ٢٧/ ٢٨٤، وينظر: حاشية الشهاب ٩/ ٢١٥.

٨٩. ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٢٢٨، والبحر المحيط ١٠/ ٢٢٠، وتفسير ابي السعود ٩/ ٢، وكنز الدقائق ١٣/ ٣٨٦، والبحر المديد ٨/ ٩٢، والتفسير المظهري ٧/ ١٨٣.

٨٩. ينظر: روح المعاني ٢٧/ ٢٨٤، وينظر حاشية الشهاب ٩/ ٢١٥.

٨٩. ينظر: روح البيان ٨٨/١٠.

٨٩. ينظر: الأمثل ١٨/ ٣٤٩.

٨٩. ينظر: تأويلات أهل السنة ١٠/ ١٠٣، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ١١١.

٨٩. ينظر: الكافي ٥/ ٦٣٨- ٦٣٩، وتفسير نور الثقلين ٧/ ٤٣٢.

٨٩. ينظر: فتح الباري ١١/ ٥٠٥، والكافي ١٥/ ٣٥٩، والوافي ٢٧/ ٣٠٥.

٨٩. ينظر: روح البيان ١٠/ ٨٦-٨٧.

• السياق في الآيتين يشي بمطالب عقدية كثيرة، تسع لمتبنّي الاتجاهات بين الفرق الإسلامية، ولاسيما فيما يخص الرؤية والرجعة. وقد نأينا عنها خشية انْ ينزلق البحث في سجال كلامي أو فلسفي.

٨٩. ينظر: التَّحرِيرُ والتنوير ١/ ٤٩٢.

٨٩. ينظر: مجمع البيان ٣/ ٢٧٥، والتفسير الكبير ٤/ ٢٦٣، والجامع لاحكام القرآن ٧/ ٢١٣-٢١٥، وتفسير أبي السعود ٢/ ٢٥٢، والميزان ٥/ ١٣٦، والتحرير والتنوير ٤/ ٣٠٩، والأمثل ٣/ ٣٤٧.

٨٩. مَوَاهِب الرَّحْمَن ١/ ١٤٣.

٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٢/ ٨٢، وينظر: مَوَاهِب الرَّحْمَن ٢/ ٢٩٤.
٨٩. الكتاب ١/ ٢٣٣.
٨٩. ينظر: المقتضب ١/ ١٠٨ و٢/ ١١٩.
٨٩. ينظر: الأصول ٣/ ١٤١-١٤٢.
٨٩. معاني الأبنية في العربية ٣٤-٣٥، وينظر: دلالة اللواصق التصريفية١٩٣-١٩٤.
٨٩. ينظر: الواضح في علم الصرف ١٦٥.
• يذهب الطاهر في أحد الوجهين إِلَى أنه اسم زمان. ولكن وجهة الاول اقرب. أنظر: التَّحرِيرُ والتنوير ٢٥/ ٣٧٢.
٨٩. الميزان ١٨/ ١٧٤.
٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٢٥/ ٣٧٠.
٨٩. شرح الرضي عَلَى الكافية ٣/ ٤٣١.
٨٩. شرح التسهيل ٣/ ٨٩.
٨٩. شرح الكافية الشافية ٤/٢ ١٠٥.
٨٩. شرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٥٥
٨٩. ينظر: شرح المفصّل ٣/ ١٢٤-١٢٥، وشرح الرضي عَلَى الكافية ٣/ ٤٣١، وارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٤٨، وأوضح المسالك ٢/ ٢٦٧.
٨٩. ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية ٤/ ٣٩٩.
٨٩. شرح الرضي عَلَى الكافية ٣/ ٤٣٢، وينظر: حاشية الخضري ٢/ ٨٣.
٨٩. ينظر: شرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٥٥.
٨٩. ينظر: شرح التصريح ٢/ ٤٥.
٨٩. ينظر: معاني الأبنية ٧٦.
•نقول ذلك عَلَى وجه التقريب لشدة ظهور الذات بتلك النعوت، الَّتِي لا يتُصور غيابها عن الذات طرفة عين.
٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٢٤/ ٨٣.
٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير ٢٩/ ٤٠٠.
٨٩. الأمثل ١٩/ ٢١٤.

• ثمة أسرار جعلها الله تكوينا تخص أبدان الانبياء والشهداء والاوصياء وغيرهم من الكمل، لم نتعرض لها، لان لكل مسلك رائديه.

٨٩. ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، ومجمع البيان ١/ ١٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٧٤، والبحر المحيط ١/ ٢١٠، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٩، وتفسير الثعالبي ١/ ٢٠٣، وروح المعاني ٢/ ٧٦، والتفسير الكاشف ١/ ٧٦، ومن وحي القرآن ١/ ٢٠٤.

٨٩. ينظر: تفسير البيضاوي ١/ ٦٥، وتفسير ابي السعود ١/ ٧٧، وكنز الدقائق ١/ ٢٩٧، وروح البيان ١/ ١٢٤، وتفسير المراغي ١/ ٢٩٧، وتفسير المنار ١/ ٢١٧، ومن هدي القرآن ١/ ١٦٩.

• بعض المصنفين أشار إِلَى النطف عَلَى نحو الأطلاق. ينظر: معاني القرآن ١/ ٢٥، وتأويلات أهل السنة ١/ ٤٠٩، والتبيان ١/ ١٨٩، واللباب ١/ ٤٨٥.

٨٩. ينظر: تفسير السمعاني ١/ ٤٠، والكشاف ١/ ١١٥، ومجمع البيان ١/ ١٣٨، وغرائب القرآن ١/ ٢٠٩، والبحر المحيط ١/ ٢١٠، واللباب ١/ ٤٨٤.

٨٩. ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، والجامع لأحكام القرآن ١/٣٧٤.

٨٩. ينظر: البحر المحيط ١/ ٢١٠، والبحر المديد ١/ ٧٠.

٨٩. ينظر: التفسير الكبير ١/٣٧٧، ونظم الدرر ١/ ٨٠.

٨٩. ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، والبحر المحيط ١/٢١٠.

٨٩. ينظر: التبيان ١/ ١٩٠، ومجمع البيان ١/ ١٣٧، والجامع لأحكام القران ١/ ٣٧٦، وغرائب القرآن ١/ ٢٠٩، والبحر المحيط ١/ ٢١١، واللباب ١/٤٨٤، ومواهب الرَّحْمَن ١/ ١٩٩.

٨٩. ينظر: البحر المحيط ١/ ٢١١.

٨٩. ينظر: السابق نفسه: ١/ ٢١١.

٨٩. ينظر: اللباب ١/ ٤٨٤.

٨٩. ينظر: روح المعاني ٢/ ٧٦، وحاشية القونوي ٣/ ٦٩.

٨٩. ينظر: البحر المحيط ١/٢١٢.

٨٩. ينظر: التفسير الكبير ١/٣٧٧، وقريب منه ينظر: الكشاف ١/ ١١٦، ونظم الدرر ١/ ٨٠، وحاشية القونوي ٣/ ٦٩.

٨٩. ينظر: معاني الأبنية ١٣٢.
٨٩. الكتاب ٣/ ٦٤٨، وينظر: معاني الأبنية ١٦٠-١٦٣.
٨٩. الميزان ٧/ ٣٣١، وينظر: مَوَاهِب الرَّحْمَن ١٤/ ٢٩٥-٢٩٦.
٨٩. التَّحرِيرُ والتنوير: ١٢/ ١٨٦.

## المصادر والمراجع :


- ارتشا فالضرب من لسان العرب، لابي حيان الأندلسي، تحقيقو شرح ودراسة د. رجب عثمان محمد ،مراجعة د. رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط١، ١٩٩٨م.
- الأصول في النحو،ابن السراج البغدادي «٣١٦ هـ»، تحد. عبد الحسين الفتلي.
- أضواء البيان في إيضاح الْقُرْآن بالْقُرْآن، محمد الأمين الشنقيطي الأفريقي «١٣٩٣هـ»، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،دار إحياء التراث العربي-بيروت،ط٢، ٢٠٠٥م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ابن هشام الأنصاري «٧٦١ هـ» ،دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط٥، ١٩٦٦م.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير باب يحيان الأندلسي «٧٥٤ هـ»، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- البحر المديد في تفسير الْقُرْآن المجيد ،الإمام العلامة أبو العباس احمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني «١٢٢٤ هـ»، تحمر احمد الراوي،دار الكتب العلمية- بيروت،ط١، ٢٠٠٢م.
- تأويلا تأهل السنة،الإمام أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي «٣٣٣ هـ»، تحد . مجدي باسلوم،دار الكتب العلمية -بيروت،ط١، ٢٠٠٥م.
- التبيان في تفسير الْقُرْآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي «٤٦٠هـ» ،تحاحمد حبيب قصير العاملي ،تصحيح وتدقيق مركزا لإمام الحسن المجتبى للتحقيق والدراسات، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت،ط١، ٢٠١٠م.

- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- التحقيق في كلمات الْقُرآَن الكريم، حسن المصطفوي ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط١، ١٣٨٥هـ.
- تفسير ابن عرفة لابي عبد الله محمد بنعرفة الودعمي ، تحقيق جلال الاسيوطي ، دار الكتب العلمية –بيروت،ط١، ٢٠٠٨م.
- تفسير ابن كثير ،الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي «٧٧٤هـ»،حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الارنؤوط ومحمد أنس مصطفى الخن، دار الرسالة العالية ،ط١، ٢٠١٠م.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مرايا الْقُرآَن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي «٩٥١هـ»،دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٤، ١٩٩٤م.
- تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي «٦٩١هـ» إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير الْقُرآَن ، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي «٨٧٥هـ» ،حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوّض ،والشيخ عادل احمد عبد الموجود وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنّة ،دار إحياء التراث العربي–بيروت،ط١، ١٩٩٧م.
- تفسير السمعاني،أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي «٤٨٩ هـ» ،اعتنى به وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- تفسير الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،ضبط وتعليق محمود شاكر، تصحيح علي عاشور،دار إحياء التراث العربي– بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
- التفسير الكاشف ،محمد جواد مغنية ،دارالأنوار–بيروت،ط٤.
- التفسيرالكبير،الإمامالفخرالرازي□٦٠٦هـ»،دارإحياءالتراثالعربي–بيروت،ط١، ٢٠٠٨م.

- تفسير المراغي،الأستاذ الكبير أحمد مصطفى المراغي،دار إحياء التراث العربي–بيروت.
- التفسير المظهري، الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي المظهري «١٢٢٥هـ» ،وضع حواشيه وخرج آياته وأحاديثه إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا «وهي مجموعة الدروس الَّتِي أخذها عن أستاذه الشيخ محمد عبده » تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١، ٢٠١٠م.
- تفسير كنز الدقائق ،الميرزا محمد المشهدي «١١٢٥هـ»،تحـ حسين دركاهي،دارالغدير– قم،ط١، ٢٠٠٣م.
- تفسير نور الثقلين ،المحدث الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ،تحقيق السيد علي عاشور ،مؤسسة التاريخ العربي–بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي «٦٧١هـ» تحـ. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة–بيروت،ط١، ٢٠٠٦م.
- حاشيةالخضريعلىشرحابنعقيلعلىالفيةابنمالك،محمدبنمصطفىبنحسنالخضريالشافعي «١٢٨٧ هـ»، شرحها وعلق عليها تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت،ط٣، ٢٠٠٩م.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي،القاضي شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي «١٠٦٩ هـ»،ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية–بيروت،ط١، ١٩٩٧م.
- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ،عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي «١١٩٥هـ»،ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية–بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
- دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية ،أشواق محمد النجار ،دار دجلة–عمان ،ط١،٢٠٠٦م.

- روح البيان ،الإمام العالم الشيخ إسماعيل حقي البروسوي «١١٣٧ هـ» ،تعليق وتصيح وضبط النص الشيخ احمد عزّو عِناية ،دار إحياء التراث العربي- بيروت ،ط١، ٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي «١٢٧٠هـ» تح ـ ماهر حبوش وجملة من المحققين،مؤسسة الرسالة- بيروت،ط١، ٢٠١٠م.
- شرح التسهيل ،جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي «٦٧٢ هـ» ، تحد. عبد الرحمن السيد ، ود. محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،ط١، ١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضون التوضيح في النحو ، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري «٩٠٥ هـ» ،تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت،ط٢، ٢٠٠٦م
- شرح الرضي على الكافية ،محمد بن الحسن الرضي الاسترآبادي «٦٨٨هـ» ،تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنَّشر،ط٢، ١٣٨٤هـ.
- شرح الكافية الشافية لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، حققه وقدم له د. عبد المنعم أحمد هويدي ،مركز البحث العلم يوغ حياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة .
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي «٦٤٣هـ»، تحقيق وضبط وإخراج احمد السيد سيد أحمد، راجعه ووضع فهارسه إسماعيل عبد الجواد عبد الغني ،المكتبة التوفيقية- القاهرة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رقّم كتبها وابوابها وأحاديثها الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفيحاء-دمشق ط٣، ٢٠٠٠م.
- الكافي أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ،تحقيق قسم إحياء التراث، مركز بحوث دار الحديث،قم،ط٢، ١٤٣٠ق/ ١٣٨٨ ش.

- كتاب الوافي للمحدث محمد محسن بالفيض الكاشاني ، تحقيق السيد علي عبد المحسن بحر العلوم ،دار إحياء التراث العربي،ط١، ٢٠١١م.
- الكتاب،أبو بشر عمر وبن عثمان بن قنبر «١٨٠هـ» ،تحقيق وشرح عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجيب القاهرة،ط٤، ٢٠٠٤م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري «٥٣٨ هـ» ،شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي ،الناشر مكتبة مصر بالفجالة.
- اللباب في علوم الكتاب ،أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي «٨٨٠هـ» ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية د. محمد سعد رمضان حسن ود. محمد المتولي الدسوقي ،دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٩٩٨م
- مجمع البيان لعلوم الْقُرآن ،أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي «٥٤٨هـ» ،مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- معاني الأبنية في العربية ،د. فاضل صالح السامرائي ،ساعد ت جامعة بغداد على نشره ، ط١، ١٩٨١م.
- معاني الْقُرآن ،أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء «٢٠٧هـ»،تح ـأحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ،دار السرور.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد «٢٨٥هـ»تح ـ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب
- من هدي الْقُرآن، محمد تقي المدرسي،دار القارئ،ط٢، ٢٠٠٨م.
- من وحي الْقُرآن ،محمد حسين فضل الله ،دار الملاك – بيروت،ط٣، ٢٠٠٧م.
- مواهب الرحمن في تفسير الْقُرآن ،عبد الأعلى الموسوي السبزواري ،انتشارات دار التفسير–قم،ط٢، ٢٠٠٧م
- الميزان في تفسير الْقُرآن ،محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي– بيروت،ط١، ١٩٩٧م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي «٨٨٥هـ» ،خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت،ط٣، ٢٠٠٦م.
- الواضح في علم الصرف ،د. محمد خير الحلواني، دار المأمون للتراث – دمشق ، ط٤، ١٩٨٧م.

## (Abstract)

The research deals with the subject of death and its images in the Quranic usage, taking from the Qur'anic context, a tool to understand the structures that are differentiated by the images of this article.

The research concluded that the Qur'an made from the concept of death knowledge that transports the mind of the recipient and develops it with ideas that prevent the leakage of sinners, And temporary experiences that do not frame their minds except by inheritance of tradition and tribalism, and that the Qur'an opens the way for the realization of the other realms of existence that can only be fulfilled by death and death. This is sufficient - alone - to accommodate the place of divinity and great measure.